

المجموعات القصصية
القصة القصيرة جداً

جميع الحقوق محفوظة
الكتاب: المجموعات القصصية
القصة القصيرة جداً
تأليف: هيثم بهنام بردى
الطبعة الأولى: ٢٠١١
تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين

تموز

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق / جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

القصة القصيرة جداً

هيثم بهنام بردى

المجموعات القصصية

١٩٨٩ - ٢٠٠٨

- حب مع وقف التنفيذ.
- الليلة الثانية بعد الألف.
- عزلة أنكيدو.
- التماهي.

المجموعة القصصية الأولى

حب مع وقف التنفيذ

صدرت عن مطبعة شفيق - بغداد

سنة الإصدار ١٩٨٩

حب مع وقف التنفيذ وفن القصة القصيرة جداً

عبد الستار البيضاني

يعتقد الكثير من المعنيين بفن كتابة القصة ، إن القصة القصيرة جداً نمط قصصي بلا تاريخ وغير محدد بقوانين فنية نقدية تؤثر حدوده التي تجعله يمتلك خصوصيته التي تميزه عن القصة القصيرة العادية أو الأنماط الأدبية الأخرى المقاربة له ، وإذا صح هذا الاعتقاد في النظرة العامة الأولى فإنه سوف يلاقي بعض المطبات التي تحتم على أصحابه إعادة النظر فيه إذا كانت هذه النظرة تمتلك الدقة والعمق.

فمن حيث التاريخ هناك تاريخ غير مؤرخ أو غير مكتوب لهذا النمط القصصي ، بسبب ان الذين كتبوا فيه لم يأخذوا كتاباتهم بمأخذ الجد ، أو أنهم لم يتبنوا نتاجهم هذا إلى درجة التنظير واستنباط القوانين الخاصة به ، وتنميتها والبحث عن حرارتها الفنية

والموضوعية التي تجعلها قريبة إلى الرسوخ إضافة إلى أن كل ما كتب تقريباً جاء ليغطي حاجة الصحف وليس لتأسيس تيارات معينة!، ولعل افتقاد الزميل القاص هيثم بهنام بردى لهذه الرغبة الطارئة وتوفره على قدر كبير من النوايا السليمة هو الذي يعطي لمجموعته (حب مع وقف التنفيذ) خصوصيتها بين كل ما صدر من مجاميع خاصة بهذا النمط القصصي في الأدب العراقي.. وعندما أقول هذا الرأي فأني لا أبغي المجاملة، لأنني أستند فيه على وقائع وحقائق موضوعية تتعلق بمسيرة القاص هيثم بهنام بردى الذي تعرفت عليه لأول مرة ككاتب للقصة القصيرة جداً في عام ١٩٨٢ عندما شارك في ملف القصة القصيرة جداً الذي نشرته مجلة "الطليلة الأدبية" لمجموعة من القصاصين العراقيين والعرب، حيث قرأت له في هذا الملف قصة رائعة اسمها (علاقة)، ومنذ ذلك الحين حتى الآن كلما التقيت الصديق هيثم كان حديثنا القصة القصيرة جداً وآخر ما صدر منها، وأهم كتابها ونعيد مناقشة بعض ما جاء في الملف أنف الذكر، كما يحدثني عن مشاريع كثيرة لكتابة نصوص جديدة، لكنني لم اقرأ شيئاً منها في الصحف والمجلات.. ولعل هذا واحد من المؤشرات التي تؤكد حرص وإخلاص القاص لفنه، فهو أذن شذ عن مقولة القصة القصيرة جداً للاستهلاك الصحفي اليومي.. فقد كان يكتب بوعي وحس نقدي يقظ من أجل بناء قصة قصيرة جداً قائمة على تقنيات فنية وبناء داخلي يعيه القاص تماماً، ولا يكتفي بلعبة طول القصة التي

كانت سبباً في تدفق عدد كبير من القصص القصيرة جداً والرديئة جداً في صحفنا المحلية ، حتى أضحت كتابة القصة القصيرة جداً لا تتطلب كثيراً من العناية ، وعندما كلمني الصديق هيثم قبل أكثر من عام عن نيته في إصدار مجموعة قصص قصيرة جداً ، كنت متفائلاً جداً بنجاحه ، لأسباب كثيرة ، لعل أهمها أن هيثم بهنام بردى هو أكثر أبناء جيلنا زهداً بالأضواء وبالنشر في الصحف والمجلات ، وأكثرهم إخلاصاً لنفسه ولفنه ، ويتمتع بحضانة نفسية صانته من كل أمراض الوسط الثقافي لذلك فإنه انزوى عن الصخب وراح يكتب بصمت وبالطريقة التي يبغيها ، حتى فاجأنا بروايته (الغرفة ٢١٣)...

إذن أكثر من سنة تطلب الإعداد لهذه المجموعة التي تجدها بين يديك عزيزي القارئ... ونحن هنا لا نريد أن نقدم لهذه المجموعة دراسة نقدية ، بقدر ما نريد أن نشير إلى بعض ملامحها العامة ، حيث رتبت القصص كما يبدو لي ترتيباً قصدياً يمثل مراحل حياة القاص.. فعوالم الجبال والثلوج في قصص (علاقة) و(الثلج) و(صدى) والعزلة التي تعطي للأبطال حساً مرهفاً للتعامل مع الأشياء مما يحسسك بعظمة الحياة وبساطتها ، فالرجل والكلب والأرنب وأغنية فيروز ، يشكلون تفاصيل حياة كاملة مترعة بالتأمل والأسرار كما في قصة (علاقة)...

إن معظم أبطال هيثم يعانون من عزلة ووحشة لا يطرحها القاص بتفاصيل ، فهي عزلة ووحشة روحية يلتقطها بحس مرهف وحساسية

مفرطة تثير في نفسك الرغبة لاكتشاف التفاصيل الكامنة وراء هذه الاضاءات التي يلتقطها والتي تفضى إلى عوالم وتاريخ طويل من الخيبة والحزن والانكسار ، وبهذا يحقق القاص أهم شروط القصة القصيرة جداً ، باعتماد الومضة بدل التفاصيل والإضاءة بدل السرد كما في قصة (ذكريات) ، فهي عبارة عن لحظة خاطفة تستفز وعيك وحساسيتك ، وعليك أن ترسم التفاصيل كما تريد أنت - كما يبدو لك في الوهلة الأولى - لكنك في الحقيقة ترسمها تحت ضغط الومضات السريعة التي يبثها القاص بين سطور قصته ، وابتداءً من قصة (الهاجس) يتخلى القاص عن عوالم الوحشة والعزلة ليكتفي برسم خطوط الحياة بحساسية مرهفة مستفيداً في بعضها من الأساطير والميثولوجيا الدينية كما في (ولادة) و(رجل وحيد) ، ومع تقدم قصص المجموعة نلاحظ ابتعاد القاص عن الهم الذاتي ليدخل في هموم أخرى ، سياسية مثلاً كما في قصص (ولادة) و(الأرجوحة) و(نمر أفريقيا) و(نشرة أخبار) واجتماعية كما في قصة (اليد) التي تألق فيها القاص ليكتب واحدة من أهم قصص المجموعة التي استوعبت تقاليد فن القصة القصيرة جداً لامتلائها بالحنس الإنساني المرهف إلى جانب الأداء الفني الرائع ، الذي تحول في قصص أخرى إلى نوع من المفارقة والتقابل كما في قصص (طرزان) و(الساحر).. وغيرها مما زاد في قوة بناء هذه القصص وتماسك أحداثها وتكثيف أفكارها.. والمفارقة عند هيثم بهنام بردى ليست النكتة السمججة كما كتبها البعض وإنما هي مفارقة مشحونة

تتفجر عند المداخل المضيئة للحدث...

ونحن إذ نتحدث عن هذه المجموعة لا نريد أن نصادر حق القارئ ورأيه ، لذلك نبتعد عن التفاصيل والآراء النقدية على أمل العودة إليها في مناسبة أخرى.. لكنني أؤكد مرة أخرى من خلال متابعتي المتواصلة لهذا النمط القصصي أن هذه المجموعة ستأخذ مكانتها بين كل ما صدر من هذا النمط القصصي على قلته ، وإذا كان البعض يعد طبع مجموعة قصص قصيرة من قبيل المغامرة ، فأقول أنها من قبيل الجرأة والثقة بالنفس في ترسيخ هذا النمط القصصي من أجل عدم تركه سائباً بلا حدود.. وحسبى أن (حب مع وقف التنفيذ) هي محاولة جريئة لتوفير الحصانة النقدية لهذا النمط الرائع من القصة.

٢٤ / تموز / ١٩٨٨

رأي الكاتب

القصة القصيرة جداً... لماذا!!

ترى - أواجه دوماً - ما الذي يدفعنا إلى كتابة القصة القصيرة جداً...؟ أهو العجز..؟ أم قصور في الأداة والمطاولة اللغوية؟ أم هو الكسل؟ ولم يظهر هذا اللون من الأدب؟ وما فرقه عن القصة القصيرة...؟

قد يقول قائل أن هذا اللون من الأدب قد برر وجوده لأننا في عصر السرعة والتكنولوجيا فيحتم إذن أن يولد أدب جديد يحاكي العصر وتحولاته ، وأن الوقت لم يعد يتسع لتصفح قصة قصيرة ، أو قصة طويلة ، أو رواية... قصيرة كانت أم طويلة. ورغم أن هذا الرأي فيه من الصحة الشيء النسبي اليسير ، إلا أنني لست معه ، فالقصة القصيرة جداً ولادة طبيعية وصحية في أدبنا المعاصر ، وأن ولادتها مستقلة بكيئوتها الخاصة. مع كونها امتداداً صميمياً لفن القصة والرواية - تشرط علينا أن نرعاها ونحتفل بها ، لكي نتخلص من الإشكالات التي تصاحب كتابة القصة القصيرة ، مثل الاستطرد والاسترسال اللغوي غير المبرر في قصة لا يحمل بناؤها وحدثها كل

هذا السيل من الكلمات (أنا لا أعني أن نقوم مقام الخياط ونمسك المقص ونعمل نهشا في القصة القصيرة ونحيلها قسرا إلى جمل وتعابير غير مرابطة يكتنفها الغموض والتفكك لتصبح - بالتالي - قصة قصيرة جداً). لا... بل أعني فهم خصائص وبناء هذا اللون من الإبداع ، من جزل في اللغة ، واقتصاد في السرد والتركيز والإيجاء في الفكرة وشموليتها ، وإيراز الجوانب المشرقة للعمل الإبداعي ، وتبعاً لهذا فإن القصة القصيرة جداً حالة إنسانية - كالقصة والرواية والشعر واللوحة... الخ - ترصد دقائق الحيات الإنسانية في ضربة سريعة خاطفة ، وليست عجزاً أو عكازاً يتكئ عليه القاص ، كما أنها ليست صالة استراحة أو محطة انتظار.

وأنا - كقاص - عندما شرعت بكتابة القصة القصيرة جداً لم اكتبها لشيء سوى تلبية لذلك الهاجس الذي يخلق بي عالماً إلى عالم خاص وأخاذ ، كومضة برق ، أو قصف رعد ، أو تكوّن قطرة ماء أسفل حب (بكسر الحاء) وضمن حالة إنسانية أعيشها بكل جوارحي ، وتنتال الكلمات عندئذ كقطرات المطر لتتشكل بالتالي قصة قصيرة جداً.

وفي هذه المحاولات حاولت أن أدخل ميدان هذا الفن ، عساي أن أوفق وحسبي أن أكون.

علاقة

نتفة من الثلج تتحرك حركة صغيرة جداً فوق القماش الخشن لسقف الخيمة ، تتماوع تدريجياً ، تتعلق بجافة باب الخيمة المخروطي ، ثم تهوى رقيقة طويلة وتعاقد طيات الثلج المكدسة أمام باب الخيمة... الخيمة بدون باب ، ضوء مصباحها يضرب بقوة على جدرانها الداخلية ثم ينعكس على المنضدة المنتصبة في وسطها وأمام السرير الذي طويت بطانيته لتكشف عن وجه شرشف ناصع البياض. على المنضدة وفي وسطها تماماً ثمة جهاز مذياع يصدر بأغنية تنساب من الخيمة إلى الساحة الشاسعة التي تنتهي على بعد مرمى حجر بسفح تل صغير مكلل بطيات الثلج مثقل برؤوس أغصان أشجار تزينت أوراقها الخضراء بنتف الثلج فبدت على تناسق مرهف عجيب... الصوت المنبث من المذياع يتسلق الجبل ويظير ملامساً وجه القمر ويكر السحب البيضاء... الصوت يتناول.

حيبتك بالصيف

الثلج ينهمر كالحواري فوق سطح الخيمة ثم تتحرج قطراته بصورة حلزونية لتغفو على الحافة الجانبية.

حبيتك بالشتي

قرب المنضدة استقرت مدفأة حديدية تلتهب ناراً ، وقربها ثمة
أغصان مبتورة لتغذية نارها.

خلف الصيف وخلف الشتي

الثلج خارج الخيمة يزداد نثياً ، والريح تصفر كأنها عاشق ذاته
لظى الوجد والنوى ، ونار المدفأة من الداخل تتوهج كشمس آبية.

& & &

من أعماق الجبل الثلجي ، من أغوار الليل الأبيض ، بدا وسط
ذاك البياض السرمدي كنقطة صغيرة ، أتى يرتدي ملابساً صوفية ،
خطا بثبات نحو الخيمة... وجه وقور تجاوز العقد الخامس ، لحية كثة
بيضاء تعلقت بها نتف الثلج فازدادت بياضاً. دخل الخيمة ، يداه
تحميلان حزمة طرية من الأغصان ، ألقاها قرب المدفأة ثم استدار
وهو يندندن مع الأغنية نحو باب الخيمة وأسدله ثم احكم إغلاقه
وارتمى على السرير.

& & &

عبر الساقية الجانبية برشاقة ، قائمته الأماميتان تعلقتا بين طيات
الثلج المعلقة في الفضاء السحيق وطيات الثلج المنبسطة أمامه لبرهة
ثم اتبعهما بقائمتيه الخلفيتين ، وعندما استقر في الجهة الثانية من
الساقية طفق يهز ذيله ، اقترب من الخيمة ، دار حولها ، عيناه

تدوران في محجريهما بدهشة وأسنانه لا تنفك عن الصيد الرابض بين فكيه ، وقف أمام باب الخيمة لبرهة ثم ، ويلمح البصر ألقاه من فمه أمامه وداس عليه بقائمتيه الأماميتين ثم رفع رأسه ورفع عقيرته بالنباح.

& & &

- كدت أنساك.

كان الكلب مقعياً أمام الرجل ينظر نحو الأرنب المذبوح أمام قدمي الرجل ، ولما رآه يرفع قطعة اللحم بين يديه ويقشطها بأسنانه فكر... ها هي ذي العظمة الشهية ما أذها.. يلقيها الرجل بتودد ، جلس الكلب القرفصاء ووضع العظمة بين قائمتيه الأماميتين ثم طفق يعالجها بأسنانه.

& & &

... ولا تزال السماء بيضاء ، وأغصان الأشجار والخيمة الفريدة الأزلية بيضاء ، ولحية الرجل بيضاء... ، والليل أبيض ، والكلب أبيض ، والثلج أبيض ، والدخان المنبث من فتحة صغيرة في سقف الخيمة أبيض.

الثلج

تغوص قدماه في طيات الثلج المنفرش على امتداد الأرض حوله ، يتوقف ويلتقط أنفاسه المتهدجة. ينزل الجسد الممدد على كتفيه وينيمه برفق فوق الثلج فيتشكل متخذاً وضع المسدس ، يفرك الرجل أذنيه المتصلبتين بكفيه فتسرى فيهما حياة ديبية ، يشعر بتخدر لذيذ فيغمض عينيه ويغرق في غرفة موصدة الأبواب وقد نبتت في جدرانها مدافئ تهمي بنيرانها وتشيع حرارة يافعة في جسده المكدود. يخزر رفيقه الممدد الذي لا ينم عن أية حركة سوى هبوط وصعود صدره فيهمس.

- لا بأس يا صاحبي ، لم يبق سوى تسلق هذا الجبل ونصل القرية.

& & &

الخطوات الأخيرة للوصول إلى القمة ثم ينحدر نحو القرية النائمة بوداعة صبية مجدولة الضفائر على سفحه ، تذكر الزوجة الواقفة وراء النافذة ترشق السفح بنظرات زائغة فتملكه رغبة حامية

في تسلق البقية نطاً مثل ماعز جبلي نزق ، الجسد الهامد على
كتفيه سرت الحياة في خلاياه فأنشأ يثن ، وبعد حين شعر الرجل
أن القمر أشرق في قبة السماء منيراً فضاء الجبل.
الخطوة الأخيرة... حسنا ها أنت الآن في القمة ،.. آه ، يا قريتي ها
إني أغمر وجهي الآسيان في شعرك الليلي فدفتيني.. ولكنه حين
قذف نظرة مذعورة إلى المنحدر لم يجد إلا الثلج المكسد ووادٍ
سحيق ، فأحس ببرودة قاسية في عروقه ، وببطء ألقى ينظر القمر
الذي بدأ نصفه المضاء بالاختفاء وراء سحابة رصاصية.

& & &

اندلق القمر ثانية يغسل الفضاء بنوره الفضي ، صحا من تأملاته
على صوت واهن.

- هل وصلنا...؟

- تقريباً.

الآخر يتحرك ببطء شديد.

- أحس بفقدان نصفي السفلي.

تمعن في الوادي المنبسط تحته وتسلمت نظراته تتفحص معالم
الجبيل الباسق أمامه ، التمتع عيناه وسرى الدم في عروقه ، هتف.

- هيا.. تمدد على كتفي جيداً.. هكذا.. ، لكي تحس

بالدفع ، ماذا تقول..؟ إنك مقرور.. لا بأس لم يبق سوى تسلق هذا
الجبيل ثم ننحدر نحو القرية..

صدى

يأتون ويذهبون هكذا ، أغنية الحياة الأزلية ، من التراب إلى الثلج.. كانت واقفة أمام النافذة تتأمل الوادي والجبل المعمم بقبعة من الثلج البض البكر. كل شيء في الغرفة كان يفصح عن أحاسيس المرأة ، المصباح الواني ، الفراش المسفوح ، الأواني الملمتمة ،.. ووجهها. تذكرت كلمات أغنية قديمة.

عندما تغطي الثلوج قمم الجبال

ويهبط الليل ، الليل الأبيض

يتناجى العشاق.. وتدندن الأغصان العارية بالأغاني الأليفة

يأتي فارسك الثلجي على صهوة القمر الفضي..

الفراش اكتوى بالنوى ، أمسى موحشاً يصطلي بالرغبة لعناق

جسده المسكون بالثلج البض الدافئ..

((في المرة الأولى جلب جوزاً وبلوطاً وزعروراً ، وأشياء أخرى ،

كان يضحك وهو يتحدث عن الجبل والثلج والدببة التي تحطف

الرجال إلى غيران قصية في قمم رهيبة ، كانت تهيم في رنات

صوته وهي تتأمله ، وريداً وريداً كان صوته يغيب في فضاء الغرفة ،

ولا تفقه بعدها سوى انفتاح وانغلاق شفثيه الناريتين))
صدى الأغنية يتسرب إلى حناياها سياتاً تلهبها فتحس أن
الأشياء تستحيل إلى نار ذات أسنة برتقالية.
ويهبط الليل ، الليل الأبيض
تتحرك أصابعها تبحث في طيات جسدها القابع تحت الثوب عن
الأماكن التي حرثها فيه...
((في المرة الثانية عندما أتى ، لم يتكلم البتة ، حملها بين يديه
بصمت ، صمت صاحب بالحركة وألقاها على الفراش..))
- لو يأتي الآن...!

سرت الكلمات في الغرفة كمواء مبتور لقط جبلي ثم تلاشت...
لاشيء سوى جبل شاهق ينام بوداعة تحت طيات الثلج ، وليل
كثيب أبيض يغفو ببلادة في الوادي العميق ، وصدى أغنية قديمة..
يأتي فارسك الثلجي على صهوة القمر الفضي

ذكريات

- في هدأة الهجيع الأخير من الليل استيقظ الكهل من نومه
وأشعل عود ثقاب ونظر إلى الجسد الهرم الممدد بجانبه ، همس...
- إيه ، أيتها العجوز لقد غرت شمسنا.
 - ماذا تقول أيها المخرف؟
 - فقال لنفسه دهشاً.
 - إنها مستيقظة!؟.
 - ثم رشقها بنظرة عاتبة وأسر لنفسه.
 - مات كل شيء إلا اللسان.
- ومن النافذة المقابلة للسريـر تسللت خيوط فضية لفجر جديد
فتمتم.
- إيه ، لم يبق سوى اجترار الذكريات البعيدة.
 - وبكر اللحظات تعالي شخيره يغمر سماء الغرفة.

الشقوق

على امتداد أفقي للبصر ، وفي مواجهة عيني العجوز المستكينة على كرسيها الممدد على أرض الحقل المعشوشبة ، بان جسدان فتیان لشاب غض يرتدي سروال (كاوبوي) عتيق ، وفتاة بضة الوجه ، وهما جالسان تحت فئ شجرة أثل عملاقة... غضت العجوز أطراف أهدابها ورأت الشناشيل المشرعة بوجه السماء ، والستائر التي تفصل بين أبواب البيوت وجو الأزقة المزدانة بصخب الأطفال وصراخ الباعة... كانت كلما تنتهز فرصة خلو الغرفة من العائلة تنسل بخفة نحو النافذة ، ترفع الستارة وتبصبص بعيون حذرة ، ولما تراه بوقفته في رأس الزقاق وهو يرتدي (صايته) البيضاء و(دميره) المقلّم وطاقيته الصوفية ، وكان ثمة تيار لذيذ يسري في حناياها وتتصور نفسها بملابس العروس ، وهو بفتوته يقفل باب الغرفة ويستدير ، يواجهها بعيون خجلى ويتقدم منها بتوجس فيما تغض هي أطرافها ، يمد أصابعه برفق ويزيح البرقع عن وجهها و... تنأهى إلى سمعها ضحكة رقيقة فعادت إلى نفسها وتلفتت نحو الشجرة فوجدتهما .. الشاب منكب على وجه الفتاة ، والفتاة تنصت بفرح

وتبتسم بين الفينة والفينة ، صرخت..

- أنتما... ألا تحجلان؟!

يبدو أنهما لم يسمعاها فضحك الشاب وأمالت الفتاة رأسها
مغطية النصف الأيمن من وجهه ، فيما انتاب العجوز شعور أرض
خدش العطش جسدها وأحالها إلى شقوق مفتوحة الأشداق.

العاصفة

مثل عاصفة هوجاء دخل المقهى ، نظرت إليه بدهشة ، وجه تجاوز العقد الخامس بلحية كثة بيضاء ، يرتدي معطفاً مطرياً مسربلاً حتى أسفل الركبة ، يرتكز في مشيته على عصا غليظة ملساء ، تفرس في الأرجاء ثم انزوى على مقعد قريب مني.

& & &

كان يدخن بشراهة ، يمص الفلتر الأحمر ويكز على حوافه بأسنانه النضيدة ويحملك بقسوة في الأوراق الملقاة أمامه على الطاولة ، جاءه النادل.

- قهوة مرة.

قال ذلك دون أن ينظر إليه ، وبين الفينة وأختها ينظر عبر الزجاج إلى واجهة السينما المزدانة بالنيون ثم يمك القلم ويكتب.

- غريب أمر هذا الرجل.

همست لنفسي وأنا أراه يلقي قلمه فوق أوراقه بعصبية ظاهرة ،

وحين وافاه النادل بالقهوة طفق يراقب البخار المتصاعد أمام وجهه ،
ويغتنم تناول القلم ووضعه في جيبه ثم حمل عصاته وخرج.

& & &

قمت وخطوت نحو طاولته وجلست مكانه... أوراق بيضاء ،
وأخرى تفتحها دوائر مغلقة ، وثالثة تنوء بكلمات مبعثرة لا يربطها
رابط ، وفنجان قهوة لم يمس بعد.

رجل وحيد

أما أن لهذا الباب الحديدي ، بصبغته الزرقاء الحائلة ، الذي يخفي خلفه جوف غرفة تستكين بصمت الأشباح فوق سطح بيت بطابقين ، أن يفتح.

& & &

ندخل ،... ترصد أعيننا تفاصيلها ، في العمق داخل العتمة يجلس كرسي سافر لونه ، يتهالك عليه رجل أمال رأسه الأشعث بعيونه الجاحظة الراكزة على نقطة بلهاء ، وفمه الأدرد المفتوح على سعته عالناً عن أسنان صفراء نخرها التبغ ، ولحيته المنتشرة على جانبي الفم والخدين الناحلين بشكل غير هندسي ، وذراعان ممدودان على جانبي ركائز الكرسي بصمت عاصف...

أمام الكرسي ، وإزاء العيون المصلوبة ثمة كتاب مفتوح على صفحة جديدة ناصعة البياض ، وفوقها تماما ، على القمة ، يرقد بهدوء قلم حبر تنتشر جملة نستطيع أن نقرأها..
(سيزيف كفاك تعباً ، صخرتك تعبت ، والجبل أعماه الغضب ،

لن تجدي محاولاتك ، أنظر إلى الزمن الذي يلاحقك ، انك داخل
قوسين ، الأول... الصخرة الفاتكة ، والثاني... الزمن الفاتك ، لا
جدوى يا رجل ، لا..).

& & &

أما أن لهذا الباب الحديدي ، بصبغته الزرقاء الحائلة الذي يخفي
خلفه غرفة يستوطنها رجل أشعث نائم منذ الأزل.. ويكتب منذ
الأزل ، أيضا حكمه الخرقاء ، وإلى جانبه عيون دهشة مصلوبة فوق
دفتر مسود بالكلمات ، أن ينغلق..

النافذة

من خلال مصباح واهن يذرو أسياخ الضياء نحو أشياء الغرفة ،
نظر الشاعر إلى الموناليزا المصلوبة على الجدار أمامه ، وجدها تذرف
دموعاً صفراء ، فجاشت في صدره العواطف وأمسك القلم ثانية
وانشأ يكتب... ولكن بعد هنيهة أحس بعقم ما يكتب فألقى القلم
بعصبية وارتكز مسنداً ظهره على الحائط وأغمض حدقتيه وسافر
إلى داخله عله يرسو في محطة تهبه الصفاء والوحي ، وحين عاد
أحس أن المحصلة كانت محطات ينبت فيها العاقول والصمت
الأخرس ، غسل أشياء غرفته بنظرة كليلة فوجد كل شيء يسبح
داخل طوق الرقابة والجمود ،... ارتطمت نظراته في التفاتته الخاطفة
صوب النافذة باللوحه التي تمثل صورة عجوز مكسيكي رث الثياب
في جلسة منفردة وأنامله تعانق قذح النبيذ بلهفة فيما تطوقه من
الداخل عتمة غامضة.

- بماذا يفكر يا ترى...؟

همس الشاعر لنفسه وغرق ثانية داخل أغوار النفس يستنبط ما
تحمله هذه الجمجمة المكسيكية في داخلها ، ولوهلة وامضة قفز من

مكانه صائحا..

- وجدتها.

وفي طريقه نحو الصورة ، تتالت أمامه صور الليل المخيم فوق القرية ، وقف أمام الظلقة اليمنى للنافذة المفتوحة يتأمل البيوت الواطئة المسقفة بـ(البواري) والحصران والطين ، ثم تسلقت نظراته أغصان الأشجار المتراصة على شكل هرم ، والتي تبدو كأشباح ضربتها صعقة شهاب فجمدت صاغرة في أماكنها تحت سماء أما تكون خيمة مطرزة بعيون تتوهج ناراً ، أو غولاً يخرج الزبد من شذقيه كثيفاً غضوباً ، وقف أمام الصورة يرشقها بأحداق تتميز شوقاً ، خيل إليه أن المكسيكي ابتسم له ، ثم بيديه تتحركان وترفعان القدرح وشفتيه تقولان.

- خذ كأساً من الجعة..؟

- !!!!!!!

- نخب صداقتنا إذن.

ويرفع المكسيكي الكأس إلى شفتيه ، وبجرعة خاطفة استقر الكأس على المنضدة خاوياً ثم انفرجت شفاته القرمزيتان عن ضحكة مجلجلة تعملقت وغطت سماء الغرفة ، فارتعدت فرائص الشاعر وأخذ يفرك عينيه بدهشة واستغراب ، وسارع إلى فتح النافذة فصفعته للتو ربح صرصر عاتية تجمد النار المستعرة وقطرات كبيرة من المطر المنهمر من سماء متوعدة ، فتطاير شعره الأكرت في

حركات حلزونية رشيقة ، وفي أوج انغماره بهذا العزف الأزلي
للكون تنهى إليه صوت خيّل إليه انه انبعث من أعماق نفسه ،
ولكن تكرار الصوت جعله ينتبه جيداً.

- زيء... زيء... زيء

وفي لحظة الضياء المحصورة بين ومض البرق وانطفائه ، لمح على
حافة النافذة عصفوراً مبللاً يرسل إليه نظرات ضارعة ، فمد الشاعر
يده والتقطه من حافة النافذة وأخذ يمسد ريشه ويناغيه بصوت ناعم.

- إنك تشبهني كثيراً يا عصفوري الصغير ، فأنت وحيد مع
المطر والليل ، وأنا كذلك ، وأنت شاعر ، وأنا كذلك ، فكن
صديقي...

داعبه بأصابع حنونة ووضعه على المنضدة أمامه ، فجلس
العصفور ينكت ريشه بمنقاره الصغير ، بينما جلس الشاعر على
سريره ، وثمة في الأعماق قصيدة تتكون.

الهاجس

ضلت قدمه تضغط على الكابح حتى ارتجت المركبة ووقفت على الجانب الترابي من الطريق ، وطوقته اللحظة التي لم تستمر أكثر من جزء من الثانية ، أقصر من المسافة بين الهدب العلوي والسفلي لعينييه ، فقد حدث كالتيار الكهربائي الصاعق ، ففيما هو منشغل بإدارة زر آلة التسجيل أحس بارتطام شيء ما ، جسد صغير ، أو ربما حجر صغير ، أو هبة من قش ، ولما رفع طرفه بسرعة عانقت عيناه نقطة دم صغيرة أخذت مساراً رفيعاً على الواجهة الأمامية لزجاج السيارة ، فقرر مع نفسه ، أو دفعه هاجس عاطفي - ربما لكونه شاعراً - أن يكشف عن هويته ، فترجل من السيارة ومشى بخطى متتدة وعيناه تجولان في محجريهما مستكشفة معالم الشارع ، بدا الشيء الممدد صغيراً جداً.... دفعه هاجس حاسم إلى النكوص ثانية نحو السيارة ، بيد انه أكمل المشي ولما وقف فوقه ، همس بحزن.

- حمامة!؟.

أحس بمرارة مفاجئة تدحس حلقومه ، وصورة تحتويه رأى على
أثرها ، الشارع ، والزرع المحصود الذي يحاذي الشارع من الطرفين ،
والسماء الزرقاء ،... حمائم مقتولة.

اللعبة

- دخل ابنه بجسده الفتي إلى الغرفة في صخب طفولي وهتف.
- بضربة واحدة أسقطه في الحال.
 - وقبل أن يسأل ، قال الصبي في حبور.
 - سأتيك به...
- شيعه بنظرة حب حتى خرج من الغرفة ، مشى صوب المكتبة ،
انتقى كتاباً وقبل أن يستدير سمع صوت ابنه من خلفه.
- أحزر ما هو..؟
 - رمان.
 - لا..
 - فراشة.
 - لا..
- أحس بسخف العملية فتحرك لكي يستدير ولكن رجاء ابنه.
... لا تستدير يا بابا... سأزعل.
- جمده في مكانه ، ولغرض حسم الموقف قال في حزم.

- ما هو...؟
 - لم تحزر...
 - نعم..
 - تعترف بانتصاري عليك؟.
 - نعم..
- أنثذ استدار بسرعة ، وحالما وقعت عيناه على ما يحمله الصبي
ألقي الكتاب على المنضدة وأسرع صوبه... اختطف ما يحمل الصبي
وهو يقول بجرارة.
- السنونو لا يقتل... لا يقتل.
- احتضن السنونو الجريح براحتيه وقربه من شفثيه ثم قبله ،
وغيبت جسده الفارع الغرفة الخلفية المفضية إلى الحديقة ، فيما
تابعته عينان صغيرتان مندهشتان ، وفم فتي مفتوح على سعته.

ولادة

- ١ -

كان ينظر إلى بطني المنتفخة ويهمس بوله.

- سنسميه سعد.

- بل سنسميه تائر.

- ٢ -

دخلوا كالزلال ، كنت في المطبخ وحيدة ، كان عائد ابني خارج البيت ، وحيدة كنت أفكر في حسين لم يعد منذ أربعة أيام وسللة الخضار في يدي ، دخل أحدهم وصرخ بي.

- أنت عبلة؟.

- نعم.

- زوجة حسين صابر العواد؟.

- نعم.
- قال لصحبه.
- خذوها.
- لماذا..؟
- اخرسي.

- ٣ -

(وفي بيت لحم بالقدس ولد المسيح في ليلة باردة ، وضعته مريم ، ولم تجد مكاناً تضع فيه الوليد غير المعلق يحيط به التبن اليابس والأغصان ، في بيت لحم ولد المسيح ، ورنمت الملائكة تسبح للمخلص الموعود...)

- ٤ -

جردوني من ثيابي ، بقيت بملابسي الداخلية ، أمسكتني إحداهن من كتفيّ وأتت أخريات من قدميّ وألقيني على بلاط السجن ، صرخت إحداهن.

- إنها حامل.
- صاحت ثانية.

- أكيد أنها ستلد عاهرة مثلها.
كن يضحكن بهستيريا ، وعينا الحارس تمسحان جسدي ،
ساقني ، بطني المنتفخة ، تعلقت عينايا بكوة في السقف ، رأيت
السماء زرقاء ، زرقاء.. سمعت صوت التراتيل.

أيا جيلي.. أيا جيلي
مسيح مات في المنفى دون ترتيل.
مسيح آخر آتٍ
فمن يحميه يا جيلي

- ٥ -

- سنسميه سعد.
- بل تائر.
- أه..
أنهال الم ممض في أحشائي ، يتدحرج ، يبحث عن خلاص...
عارية كنت في الزنزانة ، صرخت.
- إنه المخاض ، أنجدوني...
كان صوتي يسافر عبر الرواق الطويل ، ويرتد إلي حاداً منكسراً
مطوطاً.. كان الألم يعصرني.. وفجأة..

- ٦ -

- إنه طفل.
- طرقت الكلمات أذني كشلال جبلي ، أحسست وكأني كنت في رحلة سباق امتدت قروناً.
- ولكنه لا يتحرك.
- أجابه صوت ثانٍ.
- كيف يتحرك والدماء تغسله.
- جلست كالمصعوقة ، كان الطفل - القطعة النفيسة من جسدي - ممدوداً على بطنه ، دون حراك.

- ٧ -

- سنسميه سعد
- بل...

- ٨ -

(في زلزلة معتمة بالقدس ولد ناثر في ليلة باردة ، وضعته عبلة ، لم تجد مكاناً تضع فيه الوليد غير أرضية الزلزلة تحيط به الدماء ، في الزلزلة ولد المسيح وأخذت الملائكة تسبح بصوت جنائزي معلنه رحيله).

الأرجوحة

كانت باتريشا تغذي النار المستعرة تحت القدر الموضوع بين
صفيين من الآجر ، بالأغصان وجذوع الأشجار ، حين حضر الجنود
بسحنتهم السوداء ، صرخ أحدهم.

- هذه امرأة ارتيرية.

قالت لهم.

- ماذا تريدون؟.

برز من بينهم واحد ، كانت عيناه تبرقان.

- نريدك أنت.

صرخ احدهم بوجهه.

- اخرس.

تراجع الأول ، تقدم الثاني نحوها.

- ما اسمك؟

- باتريشا.

- أين زوجك؟

- في المدينة.
- صمت الضابط لهنيهة وقال
- مع الثوار... هه؟
- برز في تلك اللحظة من باب الكوخ المظلل بأشجار الموز شيخ طاعن في السن وصرخ.
- أترك المرأة أيها القدر.
- صرخ الضابط.
- احصدوه.
- فتالت إطلاقات نارية ، سقط الشيخ ، نز الدم بغزارة ، إمتصه التراب بشراهة ، صرخت المرأة.
- قتلتموه أيها الجبناء.
- وهجمت على الضابط ، أطبقت أسنانها على ذراعه ، صرخ بألم.
- احصدوها.
- فتالت إطلاقات نارية ، سقطت المرأة ، نز الدم بغزارة ، إمتصه التراب بشراهة.
- ولما انصرفوا لم ينتبهوا إلى الرضيع الموضوع داخل أرجوحة بين جذعي شجرتي موز ، وهو يحدق فيهم بعيون نارية.

نمر أفريقيا

كل شيء كان يبدو وقتئذ بلا لون ، لحية القاضي البارزة من وراء المنصة ، القاعة المكتظة ، وأضواء المصابيح ،.. وجد نفسه فجأة داخل هذه الدوامة.

قيل له.

- أنك شاهد.

همس لنفسه.

- وما الفائدة.

قالوا.

- ستقول انه مات فجأة بالسكتة القلبية.

وقالوا.

- ستقول انه مات وهو جالس يدخن لفافة تبغ.

قال لنفسه.

- لم يحدث هذا..

قالوا.

- بل ستقول حتما. أليس كذلك؟.
- !
- ستقول هذا رغما عنك.
- !؟....
- وان لم تقل تذكر أن لك عائلة.
وقالوا في الختام.
- وان صممت على عدم قول هذا ، تذكر ، لا عائلة..لا أطفال ، لا حياة.
- وفي البيت قالت زوجته.
- أرايت شيئا؟
- لم يجب... رأيت كل شيء..
- ثم مع نفسه.
- ما معنى كل هذا ، لم المحاكمة؟ ، ما دام الواحد منا يموت مثل حشرة دون حق.
- لغط ، أصوات ، الحق ، المحكمة ، العدالة ، أين كل هذا من الواقع ، كذب ، كذب كل ما يقولونه كذب ، لا.. ليس هكذا ، كان الجسد الأسود يجبر النير خلفه ، وفجأة ، كما تمطر السماء بغتة ، تصلب فوق الأرض كالجبل ، تجذرت قدماه السوداوتان منغرزة في عمق التراب الهش ، أته السياط ، الركلات ، في الوجه ، في الصدر ، جاءه الرجل الأبيض ، ضربه بالسوط ، دون جدوى ،

اقترب الرجل الأبيض وحين أصبحا وجهاً لوجه ، نظر إليه الرجل المتجذر بالأرض ، ثم بصق على وجهه ، اخرج الرجل الأبيض مسدسه ، ثم.. رصاصة في القلب... ثمة رجل على يمينه أغمض عينيه الزرقاوين وغط في نوم عميق ، نفرس في جوانب القاعة ، يبدو نشازاً بين هذه الأجساد الأنيقة ، جسد فلحته الأرض وعمدته الشمس. لغط ، لغط ، رأى العيون تحدق فيه ، انتبه... العيون دوامة تعتصره ، تجمع عصيره في إناء ذهبي ثم تلقي بقايا جسده وعظامه للكلاب ، قال ينادوني للشهادة ، همس.. رأيت كل شيء. في البيت قالت زوجته: رأيت شيئاً؟.. رأيت كل شيء. قام بتناقل ، الجسد في واد ، والعقل في واد. وجد نفسه داخل القفص..... (يذكر في صباه ، أن جده اصطاد نمرًا ، ولكن عجوزاً ، نبذه قومه... لا حول له ولا قوة ، ولكن جده أصر أن يضعه في قفص ، صاح جذلاً.

- سيكون هذا النمر عنوان قوتي وديمومة حياتي).

قال الحاكم.

- ما اسمك؟

- !.....

(ولكن النمر بقي في مكانه جامداً ، لا يأكل ، لا يشرب ، ينظر إلى سماء أفريقيا بحسرة ، ورويداً ، ورويداً).

- اسمك؟

- !.....

(وكان عندما يقترب من النمر ، وكان حياة يافعة تتدفق في
خلاياه ، فيقوم وينظر إليه بعيون فقدت بريقها).

- لم لا يتكلم؟

- ما به؟

وحين نظر إلى الوجوه...

(بيد أن النمر مات في النهاية ، حمله به جدي بصلف وصاح
بجزن غاضب).

- عار عليك أن تكون نمرًا ، أنت حمار)

همس.. سأكون نمرًا أفريقيًا حقيقياً ، أنا لست حماراً يا جدي

الطيب ، وحين نظر إلى الوجوه انطلق صوته يثقب صمت القاعة.

- لا...

مطر

إسترخى على مقعده ونفث دخان سيكاره بتلذذ ، تمطى عاقداً ذراعيه وراء رأسه وألقى نظرة متأملة إلى الخارج عبر زجاج المقهى ، ثم رجال يسرعون الخطى وقد أودعوا أعناقهم في ياقات قمصانهم ، والرصيف يغتسل بنثيث المطر الهائل من سماء مسكونة بالسحب مبهورة بالرعد ، والقطرة إذ تسقط على الحفر المتوزعة على الرصيف تنتفخ كبالونة لوهلة ثم تنفجر متمازجة مع تموج المياه المتشظية تحت الأقدام المبتلة ، أعاد عينيه وخطف نظرة خاملة إلى الداخل... الرؤوس تهتز منتشية مع لحن شرقي مفعم بصوت رائق رائع النبرات يتدفق من الراديو وثمة في الزاوية القصية من المقهى رجل متقنذ على كرسيه له وجه ثعلب ينظر عبر الزجاج إلى قطتين تهران ثم تمتد يده إلى جيب معطفه الممزق ويخرج قنينة العرق ، يفتح سداده بلهفة ويكرع جرعة كبيرة ، وحين يهيم برد سداده يغمض عينيه ويهز رأسه الأشيب متساوقاً مع تصاعد حرارة اللحن. فكر مع نفسه.

- انه رجل يملك نفسه ويعيش حياته على سجيته.
وقبل أن يخلق به الخيال سارحاً في رؤاه الزاخرة ، قام من مقعده
وحمل كتابه الممزق الغلاف وخرج من المقهى تاركاً للمطر حرية
العيبث بجسده ، والأجساد المتدافعة المسرعة تصدمه بالتناوب وكيفما
اتفق دون كلمة اعتذار ، فيما أحس بسيل من القطرات الملتحمة
تنزلق من نحره متدحرجة إلى صدره وبطنه ثم تستقر في جوف
سرته ، فداهمته انتشاء عميقة.

ألفه

بدت يد الرجل القابضة على حبل ينتهي برقبة حصان يمحّم وراءه ، كيد مومياء لفرط تيبس أنسجتها ، بلع ريقه بصعوبة بالغة ، لم ينسكب في زوره أي شيء ، حتى ولو قطرة صغيرة من الرضاب ، نظر بغضب صوب الشمس التي كانت تلسع الكون بوهجها اللائب ، ثم صرخ باستجداء.

- ماء.

شعر بأطرافه تنفصل عن جسده ، وإنه يطير معلقاً بين السماء والأرض ، يخلق بين الغيوم الحبلى بالمطر ، يمد يده ، يقبض على الغيوم ويصهرها في داخله سواق رجراجة... إستمر ينهل من الماء الذي خرش بلعومه في البدء ، ثم استوى منزلقا إلى أحشائه ، شعر بالإرتواء ، تكافتت كتل الغيوم حوله واستحالت إلى بحر هائج فيما فاحت رائحة الماء تنفذ إلى خياشيمه ، صرخ باستجداء.

- إني أغرق.

عاد الرجل إلى نفسه وتلفت حوله مأخوذاً... لا شيء سوى السراب المنساح أمامه فوق الكثبان الرملية اللامتناهية ، وكالحلم

الجميل سمع صوت رشرشة فالتفت على عجل وأبصر الحصان
فارجأ أطرافه الخلفية والبول يسقط على الرمال ، لم يضع وقته
سدى فتمدد تحت الحصان وفتح فمه تاركاً للماء الأصفر المالح
حرية الولوغ إلى أحشائه ، دغدغة إحساس ثر بالارتواء فأستوي
واقفاً ورت على غرة الحصان الذي صهل هازاً ذيله ، جلس الرجل
فوق الرمال وراوده شعور بأن الأرض تناديه إلى الأعماق فتمدد
مسنداً رأسه على بطن الحصان ، الذي سبقه بالجلوس ، وسافر مليئاً
صدى الهتاف الهادر من أعماق الرمال.

اليد

- قلت لها.
 - سأذهب.
 - هتفت بدهشة.
 - في هذا الليل؟
 - نعم.
 - قالت بدلال.
 - غداً صباحاً.
 - أجبتها بحسم.
 - بل في هذه اللحظة.
- توقفت زوجتي عن تمشيط شعرها وتأملنتني من خلال المرأة الكبيرة الدائرية وزمت شفتيها ، أكملت ارتداء بدلتي وقذفت نظرة حادة نحو السرير ، فوقه تماماً ترقد باقة الورد بصمت ، تناولتها وأنا امتطي السرير ، سمعت زوجتي تقول.
- ابق أرجوك..

- سأذهب.
- قلت بتوسل.
- غدا سنذهب معاً.
- قلت بتصميم أرعن.
- كفى.
- سمعت همسها الغاضب.
- عنيد.

& & &

لم أكن خائفا ولم أفكر فيه قط وأنا اشق طريقي بخطى واثقة
متزنة ، لا شيء ينير طريقي سوى مصباح آخر بيت في المدينة.. ها
هو سور المقبرة يطالعني كجبل اخرس ، صرت الآن داخل المقبرة ،
أستطيع وأنا مغمض أن أهتدي إلى قبر أمي ، وقفت إزاء شاهدة
القبر ، جثوت على ركبتي ووضعت باقة الورد فوق القبر ، ثم
انسحبت بصمت نحو الباب ، خيل إلى أن صوتاً ما انبثق من
غلس الليل لم أستكنه معناه ، واصلت المشي ، بيد أن الصوت
جاءني الآن جلياً.

- شكراً.

وقفت ، أمسيت قطعة من حجر ، استدار الرأس المذهول بحركة
لا غريزية حول محوره وحدقت... كانت ثمرة كف بيضاء كالتلج

تحمل باقة الورد بعناية ، فركت عيني والذهول مطر غزير ينز من
سماء حبلى بالغيوم وحدقت ثانية.. لاشيء سوى ليل مظلم ، وقبر
أمي ، بيد أن باقة الورد لا مكان لها على شاهدة الرمس ، همست
بجبل.

- أين الورد؟!.

سمعت صوتاً واضحاً.

- عندي.

كان أنثوياً رخيماً.

- عند أمك.

... بفرع.

- أمي..؟؟.

وركضت بأقصى ما يملكه الإنسان من سرعة نحو الباب ،
سمعت الصوت يهمس.

- مع السلامة.

وأبصرت - في لفظة بصر- تلك اليد تلوح لي ، جسدي صار
أقداماً تركض.

- السلامة يا ولدي..

وأشعر أن اليد فوقي ، فوقي...

& & &

كانت الغرفة تهج بالضوء الأحمر الصارخ وزوجتي مستلقية
على السرير ، قالت بحنو حقيقي.
- تعال.

و حين كان السرير يزقزق تحت جسدنا ، رأيت - على حين غرة -
على المرأة ، يداً بيضاء كالثلج ، تلوح ذات اليمين وذات الشمال.

الرقصة

كنت أحبها زوجتي حد الجنون ، ولكنها ذات صباح ، عقب
ليلة صاحبة ، هزرتها بلطف..

- حبي.

كانت مستلقية بصورة مغرية جداً ، راودني إحساس بامتلاكها
ولكنني عزفت عنه حين طالعني عقارب الساعة ، مددت أناملني نحو
خدها وقرصتها هاتفاً.

- حبي.

لم يجبني سوى صدى صوتي ، ولما أمسكتها من ذراعها سقطت
تهتز كالبنديل قرب الحافة الجانبية للسريـر ، وامتلكني الشعور المؤلم
بأن... فأحتظنت وجهها براحتي لاهجاً كالمجنون.

- مستحيل...

& & &

هذه عاشر ليلة أنام فيها دون زوجتي ، دون عينيها العسليتين
وشعرها الأسود المنسدل كخيوط الحرير ، كانت الغرفة تبدو كثيبة

كانها قبر... كنت مستلقياً أهدق في سقف الغرفة حين انفتح باب
الدولاب الخشبي وانسلت غلالة النوم منه إلى باب الغرفة الذي
انفتح على مصراعيه لتشق طريقها نحو السرداب ، داهمني شعور
هو مزيج من الخوف والدهشة ، قفزت من السرير ومشيت حافياً نحو
باب السرداب ، كانت ثمة أصوات ، طبول ، صنوج ، وزغاريد...
تأينني ممتزجة مع صوت محمل بنداء أنثوي صارخ.

- أسعد.

تراجعت مذعوراً ، جاءني الصوت ثانية.

- تعال يا حبيبي.

ركضت نحو الغرفة وانحشرت داخلها بعد أن أحكمت رتاج
الباب ووضعت كرسيّاً وراءه ، تهالكت على السرير... ما انفكت
الأصوات تأينني بضجيجها الأرعن يتخللها ذلك النداء الهامس.

- أسعد.

بيد أن السكوت لف أرجاء البيت فجأة ، ثم انفتح باب الغرفة -
رغم التحصينات - ومضت غلالة النوم منحشرة في أحشاء
الدولاب ، فركت عيني وهدقت في الباب ، كان الكرسي يعانق
الباب المقفل ، ضحكت في سري وهمست.

- كابوس لعين.

فتحت باب الغرفة وخرجت ، خطوت نحو السرداب ، نزلت
درجاته ووقفت مصعوقاً. كانت زوجتي تتمخطر بعريها ، ترقص

بكل عنفوان الأنثى ورغبتها ، ولما لحتني صاححت بفرح.

- أسعد.

هتفت فرعاً.

- مستحيل.

كنت كمن ربط لسانه فأخذ يلبط داخل فمي ، اقتربت مني
وأخذتني بين ذراعيها وأنشأت تراقصني... رقصنا لا أدري حتى
متى ، بيد أن كل الذي أدريه أننا استلقينا بكل الشوق والرغبة
على فراش وثير وامتزج جسدانا الواحد داخل الآخر.

& & &

أحسست بالبرودة الثاوية تعصف أطرافي ، فتحت عيني
وحملت مدهولاً ، كنت نائماً على أرضية السرداب ، عار حتى
من جلدي ، والماء الأسن يحتويني ، وأحمر الشفاه يصبغ جسدي.

شعاعان

في الصورة المصققة أعلى الحائط كانت الطفلة الغضة الجالسة في خشوع وتبتل بين يدي شعاع ساطع ينثال من كوة غير مرئية تتمتم في براءة بكلمات نفيسة غير مسموعة ، وثمة في الكادر اخضرار زاه ، قلبت الطفلة شفيتها -بغته- وأفردت كفيها المتعانقتين إزاء حزمة الضوء وأركنتهما على ركبتيها العاريتين تحديق في أشياء الغرفة ، كانت الغرفة صغيرة تنتشر العتمة في أحشائها وثمة ضوء أو حزمة أشبه بالشعاع القدسي المنسل إلى وجنتيها يتسلل من كوة مرئية تحت السقف الكونكريتي مباشرة نحو وجه رجل نائم وثمة في قسما ت وجهه أمائر الكلال والحزن ، كان ملفوفا ببطانية قديمة بلي لونها الحقيقي ، فوق سرير خشبي يزقزق بعنف لأية حركة ، ثم انساحت عينها تجولان في ثنايا الغرفة ، وفي لحظة وجيزة احتوى بؤبؤها كل التفاصيل:- الغبار المتراكم فوق الصندوق الخشبي القديم وعلى الفراش المتكوم فوق خشبة ترتكن على بضع أجرات من زواياها الأربع... فوق المنضدة الوحيدة وسط الغرفة ، وفوق القدر

والأواني المهملة التي تنوء بفضلات قديمة وقد تعفنت قشور البصل
والبامياء ، وسكين تنوء ببقايا لون أحمر باهت ، ومحبرة قديمة يغطي
الغبار قاعدة عنقها الرفيعة ، وأوراق ملقاة بجانبها تشف عن بياضها
الناصع ..

& & &

هبطت طفلة الصورة ، شع جو الغرفة بومض وتضوعت سماؤها
بأريج الطفولة فتفتحت مناخر الرجل وسحب شهيقاً عميقاً ، زفر
بقوة وببطء ثم ارتكن إلى بلادته ونومه العميق ، وقفت الطفلة في
أرض الغرفة ، اقتربت من السرير بقدميها اللدنتين الحافيتين ، انحنت
على الوجه تتأمله... طويل ، به تعب وحزن شفيف وثمة شعيرات
بيض على الحنك وشعر يشتعل شيباً.

& & &

وقبل أن تمشي نحو الرجل النائم ، سعت نحو حزمة الشمس
المؤتلفة بالضياء الصباحي وغرقت داخل شلاله ، غمرها الضوء
وبانت البراءة في عينيها الناهلتين وجبينها الغض وخديها الورديين ،
كان وجهها ككل ينضح شموساً ساطعة ، وأنشأت تتأمل - من
مكانها- ثمرة أتعابها:- الأواني نظيفة تلتمع ، أرضية الغرفة خالية
من الأوساخ وقد رش أجراها الطيني المتناسق بالماء فتفتشت رائحة
الطين الرطب في الغرفة ، محبرة ينوس في داخلها الماء الأزرق ، وثمة

إلى جانبها صحن مليء بالبيض المسلوق وقطعة من الخبز البارد ،
وعندما تأكدت من كل شيء بان الارتياح على محياها فمشت
بجذر نحو السرير وانكبت على الوجه بهدوء وطبعت على جبينه
قبلة حب ثم طارت نحو الصورة وجلست تحديق في الوجه النائم
بوداعة.

& & &

لو تهيأ للكهل الذي استيقظ مبهوراً والحيرة تصفد حواسه ولحظ
الصورة الملتصقة على الحائط قبالة ، لرأى الطفلة الراكعة بين يدي
الشمس ومبدع الشمس ، تجلس أمامه - داخل الإطار وفي المدى
الأخضر - وجهاً لوجه ، وفي شفيتها طيف ابتسامة طفولية مشرقة.

طرزان

كان طرزان ، بعضلاته القوية ، واقفاً على جذع شجرة البلوط ،
ينظر نحو الأسد الهائج قرب جذعها ، صرخ مع الأطفال.

- سيصرع الأسد.

يسأله رعد..

- كيف..؟

- سيثقب فمه.

- بماذا..؟

- بعضلاته.

ضم طرزان كفيه على جانبي فمه وعوى فعمجت الصالة البائسة
المعتمة بالتصفيق ، وماج فضاؤها بصخب طفولي راعد ، وطار طرزان
في الهواء.

& & &

قال لرعد..

- تعال نمثل فلم طرزان.

ويعد صمت..

- أنا طرزان ، وانت الأسد.

وافق رعد ، نزع ملابسه ، قلّص عضلاته بزهو وتسلق شجرة
الرمان الموافقة على طرف البستان ، نظر إلى رعد ، رآه صغيراً مثل
كرة ، صرخ.

- كشر عن أنيابك مثل الأسد.

مشى رعد على أطرافه الأربعة زائراً بصوت صبياني مضحك ،
وقف الآخر على قمة أعلى غصن في الرمانه وعوى بعد أن ضم
كفيه الغضين على جانبي فمه. وطار طرزان في الهواء... ارتطم رأسه
الصغير بالأرض ، انتفض لبغته واهلة ثم سكن جسده ، انتظر رعد
لكي يصصره مثلما فعل طرزان - في الفلم - بالأسد بيد ان الآخر
لم يفعل ، فقال رعد...

- إذن سأفترسك يا طرزان.

وتهاوى عليه.. أحس بلزوجة في يديه ، رفعها إلى وجهه ، كانت
كفاه مخضبتين بالدماء ، همس مفجوعاً... دم... دم. طرزان ، دم ،
صديقي.. طرزان.

حب مع وقف التنفيذ

عينان سوداوان ، واسعتان ، مستوفزتان ، تنفلتان مثل الزبيق متراقصة في المدى الأبيض المترامي للحدقة ، تطلان من نافذة صغيرة ذي أسياخ حديدية متأكلة بفعل الرطوبة مزروعة في أعلى بناية شاهقة ، تهول الحدقة المصلوبة في أعلى وجه حنطي حزين ناظرة نحو الأسفل ، بيوت... دكاكين... أزقة ، حبال غسيل في الأسطح وقد انفرشت على امتدادها قطع الملابس البليلة ، وفي طرفها القصي تلبدان بججل قطعتان داخلتان نسائيتان ورديتان ، تنسحب العينان في نظرة شاقولية نحو الأسفل حيث تترامى الساحة الفسيحة المكتظة بالرافعات والحدالات وفي أحد أطرافها ثمة دعامة كونكريتية حديثة التشييد واطئة نسبياً ترقد في قمتها حمامة ذات ريش كاكوي وعيون حوراء في دعة وترقب... يأتي طائراً بشكل عمودي ، يقف فوقها تماماً في الفضاء ثم ينتفض عليها ويرقى ظهرها بحماسه الذكرى الدفاق ، ينقر مؤخرة الرأس ويرفرف جناحيه محاولاً موازنة جسده ثم يطبق ذيله المنفوش أسفل طرفها الدقيق.

تتوقف الحركة في الحدقة مستقصية تفاصيل حلم بعيد... يعاود الكرة ثانية ، ولكن في سعي محموم ، يشتعل الصدغان الراكنان على جانبي العينين... وثالثة يطير الذكر محلّقاً في دائرة طول قطرها بضعة أمتار ، ويستكين مرة أخرى فوق الأنثى الملتهبة ، تنمل الجمجمة اللابدة خلف النافذة وتفتح في المخيلة العتيقة ألف كوى ألقه. في جانب الساحة البعيد ، هناك قطة بيضاء تراقب في هدوء المشهد المائل أمامها ، مستلقية على بطنها وواضعة رأسها المثلث بين قائمها الأماميين ، وتذهب في مراقبة لذيدة رخية حاسبة في مخيلتها الأيام المتبقية على مجيء شباط.. بيد ان الغريزة الحيوانية العدائية ، أو ربما تعويض الحالة العاجزة والمشلولة التي تنوء تحت وطئتها جعلتها تقفز في حركة صاخبة ، ناسية الطريقة الفريدة التي يتميز بها هذا الكائن في المراوغة والحذر.. مائت بصخب مجنون وركضت كالمسورة نحو الدعامة الكونكريتية ، انتبه الذكر فحدق فيها بعتب عاجز وثمر في عينيه أرض يباب تنوء بالقيظ ، طار عالياً تتبعه أنثاه إلى أن صارا نقطتين رماديتين ، فيما وقفت القطة كالبلهاء مأخوذة برد الفعل هذا... انسحبت العينان نحو عمق الغرفة العالية المعزولة ، وثمر في عمق البؤبؤ عنكبوت يحوك في المدى العميق للروح النزفة ألف فح.

الساحر

أخذته سنة من الدهشة حين رأى - من خلل شاشة التلفزيون
- ذلك الساحر العجيب وهو يبلع الدبابيس والإبر ، فسأل أمه
بجرارة.

- هل هذه حقيقة يا أماه..!؟
- لم ترفع رأسها عن ماكنة الخياطة حين سألته.
- ماذا..؟
- هذا الرجل الذي يبلع الدبابيس.
- أين.. ؟
- في التلفزيون.
- تأففت بضيق ورشقت الشاشة بنظرة خاطفة قالت.
- ألا تراه بعينيك.
- ولكنه ،... ألا يموت.. ؟
- لا..
- وبرهة صمت.

- كفاك ثرثرة.

& & &

- سأصبح ساحراً.

وسرق بعضاً من الإبر والدبابيس من ماكنه الخياطة وانزوى في الحمام ، تخيل نفسه واقفاً على المسرح والجمهور يترقبه باعجاب وذهول ، إنحني عدة مرات وهو يطبع على شفثيه ابتسامة طفولية ، ثم وبجركة مسرحية مثل الساحر التلفزيوني حشر الإبر والدبابيس في فمه وطفق يبلعها ، خيل اليه أن المسرح عصف بالتصفيق وهو يضحك ينحني ، ، يضحك ، ينحني... ثم لا ينحني ، لا...

شمس

أسير ، المدينة خلفي تسبح في سراب عائم ، والشمس أمامي
جنيه عصية المنال ، أفق حائرا..

- أيهما اسلك..؟

طريقان ممتدان ، الأول خلفه تله ، والثاني مستقيم سهل ، أقرر
الأخير ، ألمح شاهدة قبر قديم ، أقرأ..

(لا تدهش

من كونك ستموت

فلتدهش

من أنك حي...)

- سأمشي في الاول.

أتسلق التل ثم أنحدر نحو السهل ، وعلى سفح جبل عال يتفرع
الطريق إلى إثنين ، يفضي أحدهما الى الدوران حول محور الجبل
والثاني يتسلق صدره.

- أيهما اسلك..؟

أتلولب مع الأول ، وبعد خطى يسيرة ألمح عن بعد جمجمة
وعظاماً آدمية.

(تكون أو... لا)

لاشي خلفي سوى التل ، لاشيء أمامي سوى جبل تجلس
عليه شمس ملكة ، أحرث صدر الجبل بخطوى ، ثم..
فرعان...

- أيهما...؟

وأختار...

... طريقان

- ...!؟

وها أنذا أسير ، لا أدري منذ متى ، ساعة ، يوم ، سنة ، قرن ،
قرون ، والشمس مقصدي.

نشرة أخبار

إلى فادي.. إبنى الحبيب

رمقني بنظرة خاطفة ، شدتني زرقة عينيه ، رفع يده اليمنى
للدنة وحك أنفه ، ابتسمت له أوأمأت هامساً.

- تعال..

انفرجت شفتاه عن ابتسامة باهرة كالشمس اللائبة خارج
الغرفة ، ثم تناقلت نظراته بين المذيع الملقى أمامي والباب الموارب ،
زحف على أربع ثابتات بتساوق عجيب ، وعندما حاذاني جلس
يراقب المذيع بدهشة وفضول ، مد يده ، وقبل أن يلامسه رفع رأسه
وخزرنى بنظرة متوسلة ، إبتسمت ، تشجع وعبث بأزراره ، قال
المذيع.

- ضمن سباق التسليح النووي.

سحب أنامله ورشقني بنظرة اتهام... دار على عقبيه زاحفاً ،
إختلط صوتي بصوت المذيع حين ناديته ، توقف. مددت له يدي.

- تعال...

قبل أن يستدير ، إنطلق صوت المذيع.

- ويذكر بأن الصواريخ العابرة للقارات...

أرجع يده ثم زحف على عجل حتى صار داخل مستطيل
الشمس الرابض أمام باب الغرفة والتفت إليّ وفي شفثيه تألق
ابتسامة لن أرى مثلها ما حييت.

سيناريو

نقطة (١)

إسفلت الشارع ينز تحت شمس حزيرانية غاضبة ، ليس ثمة في الأفق المغبر شيء سوى سراب يتماوج متوهجا ، وفي جانبي الشارع انتشرت أرض حصدت للتو فانتصبت السيقان الصفراء المذبوحة تنظر نحو سماء مشرقة.

نقطة (٢)

تمشي على أطرافها الأربعة بخطوات واهنة ، ينتصب جسدها متقاطعا مع الشارع ، تقف ، تنظر إلى الأفق كمن أضاع شيئا.

نقطة (٣)

- اللعنة!!

صرخ الرجل بذهول ، نظر الى مؤشر السرعة.

- ١٥٠ كم/الساعة

فكر... لو ضغطت على الكابح تنحرف السيارة إلى التراب وربما

يعترضها عائق وتنقلب ، وإن واصلت سأصطدم به فتتهشم مقدمة السيارة وربما تنقلب أيضا ، أذن سأضربه على رأسه.

نقطة (٤)

ترجل من السيارة وأخذ يتفحص مقدمتها بإمعان.

- لا بأس ، المصباحان مكسوران.

ألقي نظرة إستياء إلى الورااء ولح الحمار مرمياً على قارعة الطريق وقد تهشم رأسه.

نقطة (٥)

الجحش الفتى يقف فوق الرمة التي بدأ عليها الإنتفاخ ، يرمق الرأس المهشم ، يقف قبالة الرأس لدقائق ثم يفترس الأرض.

نقطة (٦)

الشارع طويل ، طويل ، والشمس جمرة متقدة ، والسراب بحر هادر ، والجحش لا يزال يجهل معنى هذا النوم الطويل للأم ، وبين فترة وأخرى تمرق سيارة قرب الجثة ، ولا أحد لا أحد ، حتى يفكر في معنى هذا...

نقطة (٧)

كان منشرحاً جداً وصوت المذياع يغطي على هدير المحرك ، لمح من بعيد نقطة سوداء صغيرة ، لم يعر لذلك اهتماماً ذي بدء ،

ولكنه فجأة تذكر الحمار ، مر الخاطر في ذهنه سريعاً وتلاشى ، الرمة تقترب من عينيه بسرعة فائقة ، لمح ثمة جسداً آخر يتحرك فوق الجثة ، إنشد للأمر ، أوقف السيارة دون وعي منه وترجل منها ، مشى صوب الجثة ووجد - لذهوله - جحشاً يرمقه بنظرة خاطفة ثم يعاود مص الأثداء بنهم غير أنه به.

لقاء

مشيت بتؤدة تضرب البلاط اللامع بكعب حذاءها ، الكل جلوس في حالة ترقب والصمت يرين على ارجاء القاعة... أحست بالتعب يلسع اطرافها ، ارادت أن تجلس ، مسحت الأرجاء بعينيها الشهلاويتين ، ليس ثمة مقعد فارغ... انسلت نحو الباب الزجاجي الدوار ، وقبل أن تحتويها الساحة الفسيحة المواجهة للعربات الواقعة لحت الساعة الملصقة فوق ألباب ، أسرت لنفسها.

- لم يبق على موعد وصول القطار سوى ربع ساعة. اهتدت إلى مصطبة طويلة يحتل أحد أطرافها كهل أخذته سنة النوم (وسط هذا الصخب؟ ، إنه خريف العمر!) مسنداً جبينه على تكويرة كفه المستريحة على قمة عكازته المعقوفة ، جلست تاركة فسحة تسع لمتعب آخر ، تخيلته جالساً لصقها يرنو الى وجهها بفرح ، تشهق مذهولة وتتهالك على صدره وتحس بوجيب قلبه المتسارع ، ترفع وجهها وترشقه بنظرة تدله ، يحيط خصرها بكفه الغليضة ويساعدها على النهوض ، تنيم رأسها بشعره المتماوج على كتفه ويمشيان. وصحت على لفظ قريب ، انسل الحلم متواريا ، رنت

الى الفضاء ، كان الليل ملكاً على المحطة وكل شيء في رصيفها
يتراقص تحت أنوار المصابيح الحليبية الشاهقة ، صات القطار بوجه
الليل ، هبت واقفة ، و...

& & &

الاجساد تندلق من الابواب كالسيل ، تبحث في الوجوه بلوعة ،
الوجوه غريبة ، سمراء ، بيضاء ، حنطية ، بين بين..

- يا كبدي...

هتفتها امرأة عجوز ، وتهالك جسدها بين ذراعي شاب يحمل
حقيبة متأرجحة على كتفه الايمن ، ولما ضم العجوز بين ذراعيه
دارت الحقيبة نصف دورة وارتطمت بظهرها.

- لِمَ لِمَ يأت؟

تحاول عبثاً أن تجده بين الوجوه.. اسرت لنفسها بخيبة.

- ولكنه قال في الرسالة بأنه سيصل هذا المساء.

وشعرت أن الأجساد تذوب في صيرورة عينيها وتستحيل الى
ضباب ابيض ، انتهت كقطة حين سبح اسمها في الفضاء يحمل
في طياته رنة صوته الذكوري ، وشاهدته بجسده الفارع يقف وينظر
اليها ، ركضت بكل قواها وهي غير مصدقة ، وفتحت ذراعيها..

العيون

فضاء الباص المضاء من الداخل يبدو كقاعة دراسية ، والصمت المخيم على وجوه الركاب يذكّره بصمت قاعة التشريح المكتظة بالاجساد الباردة المنتظرة ، وضع كتبه على فخذه الأيمن ورشق نظرة متأملّة إلى خارج الباص ، كان الليل يفتح عينيه على الفضاء فيحيله الى عباءة سوداء ، وقف الباص ، صرخ المحصل.

- راكب واحد فقط.

فاقبلت تميس بتنورتها الرصاصية وسترتها الزرقاء وجلست قبالتة ، نظر الى وجهها ، التقت عيناهما للحظة وامضة ، حول عينيه وانكب يدق على كتبه بأصابعه الناصلة.

& & &

للمرة الرابعة التقت العيون ، ابتسمت برفق ، ارتبك ، حاول ان يحك صدغه ولكنه خجل ، فأطرق يحدق في غلاف الكتاب الازرق المزين بصورة صغيرة تمثل وجه فتاة سمراء ، أحس بالأشياء

تستحيل وتنتشر على هيئة غابة متطامنة الاشجار ، وكانا ، هو وهي ، يمسيان في أفياء الاشجار الباسقة ، يقفان بغتة ازاء جذع صفصافة فتية ، يحدق في عينيها ، يبحر في يم لانهائي تشرق على صفحاته الزرق شمس أبدية ، يمد اصابعه ، يلامس الخد اللدن ، يقترب وجهه من هذا القمر المنير ، ويذهبان في عناق محموم... وأفاق علي يد تهزه برفق ، سمع صوت المحصل.

- عفوا .. انها المحطة الاخيرة.

تفرس حواليه ، الباص فارغ ، المقعد فارغ ؟ اين الفتاة ؟ لا بد أنها نزلت في احدى المحطات... حمل كتبه ومشى صوب باب الباص ونزل درجاته بملل ، وتلقفه رصيف يمور بالحركة.

الرجل

صرخة تفجرت في داخلي.

- إنه أعمى...؟!!

أخذت أحدق بذهول في معالم وجهه.. رأس أصلع محروق
بالشمس ولحية مبعثرة في أرجاء الوجه ، عينان ضامرتان مطفئتان لا
تستمتعان برؤية أشياء الشارع المنبسط أمام قدميه.

- كيف لم ألاحظ هذا من قبل؟

بقامته الفارغة وملابسه المرتقة أمام واجهة المطعم الزجاجية يقف
صائحاً.

- سيكاير بغداد.

وفي يده الممدودة تغفو علبة يتيمة حمراء.

- مسكين هذا الرجل.

ومع نفسي ثانية.

- يبدو على حالة شديدة من البؤس.

تقدمت منه ببطء ووضعت يدي في جيبي وأخرجت قطعة نقود

معدنية.

- خذ يا عم.
- إرتجف حاجباه وانفرجت شفثاه ويده تلامس تفاصيل القطعة المعدنية بمهارة ، ثم أخرج خمس سيكاير ، ومد يده.
- ولكنني لا أدخن...
- صمت لحظة وأردف.
- لماذا أعطيتني النقود إذن؟
- ...
- قال يتحدِّ وإصرار وهو يناولني القطعة المعدنية.
- لست شحاذاً يا بني.
- أخذت النقود وأنا أشعر بهاجس يرتدني ويجعلني أتضاءل حتى غدوت بحجم رأس دبوس ، أمتد صمت ما ، عاينته...جسم كالطود ، كالبحر ، ووجه كالمدى ، كالسماء ، فانطلقت أعبّر الشارع كالهارب من مطارد ، وقبل أن أبلغ الرصيف المقابل التفت إلى الوراء ورأيته... واقفاً كالعمود ، يده ممدودة كجذع نخلة ، وصوت كالدوى يطن في أذني...
- سيكاير بغداد.

حب

لم يكن يفصل بين المصطبتين سوى تشابك اخضر كثيف
لشجرة أس بحيث أن الجالس على احدى المصطبتين لا يرى
الجالس على الاخرى... كانت السماء فوق النهر المنساب أمامي
بدعه طفل وديع ، زرقاء صافية والنوارس اذ تحلق تحت الجسر وحول
ارتكازاته الكونكريتية تنتفض بغتة مصطفقة بتموج الماء فتفتت إلى
دوائر صغيرة تأخذ بالاتساع بيد انها تتلاشى في نقطة ما حذاء
الشاطئ ، سمعت همساً أشبه بحفيف الأوراق المتساقطة فوق عشب
كث ، ألقيت نظرة من خلل تشابك الأغصان على كل شيء ،
النهر ، السماء ، الأشجار ، الآس ، الأصوات الموسقه المبهمة
المنسلة من عمق المدينة الصاحية خلفي ، وهمست بنشوه سكرى.

- فردوس أرضى..

واقترحم أذني صوت بعيد يردد أغنية تصطلي بعاطفة مشبوبة.

حبك نار..

وقبل أن أستطرد مع الصوت سمعت صوتاً انثويّاً يردد المقطع
بحس أنثوي يذوب حباً ويقطر حناناً ، الصقت مؤخرة رأسي بالحافة

العلوية للمصطبة ، وأغمضت عيني وقد أصبحت قطعة جامدة من
حواس مترقبة ، تأوهت بألم لذيذ وهي تقول بصوت يشوبه دعوة
انثوية مثيرة..

- قبلني..

ثم همست.

- أتجنبي..؟

- أحبك.

وسمعت صوت ضحكة خافتة مشتركة ، ولما بدأ الهمس من
جديد شعرت أن شيئاً ما في داخلي يستعر.. وكان صوت المطرب
يعبق برائحة الألم اللذيذ..

نار.. نار.. نار

نار يا حبيبي

المجموعة القصصية الثانية

الليلة الثانية بعد الألف

منشورات مجلة نون - الموصل

سنة الإصدار ١٩٩٦

رؤوس أقلام

° القصة القصيرة جداً ، لون إبداعي حقق حضوره المؤثر ورسوخه الفاعل عراقياً وعربياً وعالمياً وأرسى دعائم إنتشاره شيوعه المتطور مع تقادم السنين ، والذي لا يتحرج المنظرون والنقاد المتخصصون في جعله فن المستقبل لما يتطلبه من (مهارة أكثر وسرعة أكبر وتكثيف أشد وبراعة أعظم مما تتطلبه القصة القصيرة الإعتيادية)...^(١) ، والذي كتبه ناتالي ساروت في مستهل الثلاثينات عبر (إنفعالاتها) التسعة عشر . كتبت إنفعال رقم ٢ بين عامي ١٩٣٢-١٩٣٣ كأول قصة قصيرة جداً لها- والتي مهدت السبل سالكة لميلاد جماعة الرواية الجديدة في فرنسا ثم إنتشارها عالمياً لتصبح بعد نضج التجربة مدرسة أدبية مهمة في عالم الإبداع.

° عربياً... كان أول من كتب القصة القصيرة جداً الرائد المنسي نوثيل رسام تحت عنوان (موت فقير) عام ١٩٣٠م ثم تبعها بأخرى تحت عنوان (قصة قصيرة جداً) فهذا حقق قصب السبق

(١) فن كتابة الأقصوصة: وولتر كاسبيل.

في إطلاق المصطلح عراقياً وعربياً... وعالمياً ، وقبل ساروت بسنتين أو ثلاث - رغم تفاوت المستوى الفني بين ما كتبه رسام وما كتبه ساروت - إلا أن نوييل رسام هو فعلاً الأول ، أول من أطلق المصطلح بشكله المتداول المعروف.

° تزخر صحافتنا الأدبية ومجلاتنا الثقافية بكم جيد من القصص القصيرة جداً لكتاب من مختلف الأجيال بحيث لو أجرينا معادلة رياضية بسيطة لإيجاد النسبة المئوية لما تنشره صحفنا ومجلاتنا للقصة القصيرة جداً لوجدنا الناتج ٣٠% أو أكثر.

ونظرة فاحصة لقائمة الأسماء التي كتبت هذا اللون الإبداعي المستقبلي تكفي لنا لكي نتأكد إن القصة القصيرة جداً ليست ترفاً كتابياً أو إجراء بروفة (إحماء) لكتابة قصة قصيرة أو رواية ، بل هي فن أدبي صعب له خصوصيته وفرادته (لعل الإقصوية من أشد أنواع الأدب القصصي صعوبة في إتقانه)..^(٢) ، ولعل هذه الأسماء تثبت إن القصة القصيرة جداً لون إبداعي سرمدى كالعنقاء يحترق ليولد من رماده وليست وسيلة ل (لجوء البعض إلى كتابتها بسبب سهولة طروحاته وعدم قدرته الذاتية على الدخول في بناء وتفصيل القصة الإعتيادية الأطول)..^(٣).

ولنقرأ الآن قائمة من الأسماء التي كتبت القصة القصيرة جداً: أحمد خلف ، عبد الرحمن الربيعي ، عبد الستار ناصر ، عادل

(٢) فن كتابة الأقصوية: ترنتويل رايت.

(٣) رحلة مع القصة العراقية: باسم عبد الحميد حمودي.

كامل ، حنون مجيد ، حميد المختار ، عبد الستار البيضانبي ،
حمدي الحديثي ، جمال نوري ، صلاح زنكنة ، لؤي حمزة
عباس ، ابراهيم أحمد ، خالد الراوي ، وهيثم بهنام بردى (والأسماء
الثلاثة الأخيرة أصدرت مجاميع قصصية مستقلة عن هذا الفن
الإبداعي).

مدخل

كيف دخل بردى مدينة السحر!

في البدء كانت الدهشة والذهول... دهشة طفل يرى لأول مرة دمية على هيئة طفلة تغمض وتفتح مآقيها وتغني.. وذهول مهندس معماري ازاء حالة عمرانية نادرة بيد انها واقعة في العين.

هذا بالضبط ما اعتراني وأنا أتم قراءة (الرعد) لذكريا تامر ، وقصته التي تتحدث عن تلميذ يتمنى أن يمتلك قبلة يدمر بها أستاذه وبيته لتشرق الشمس بعدئذ على أنقاض ، جعلتني أدخل بوابة هذه المدينة السحرية بكل دهشة ذلك الطفل وذهول هذا المهندس... ولكن هذا الذهول وتلك الدهشة زایلاني تماماً عندما تجولت في أفياء بيوت وعمارات وشوارع وحدائق هذه المدينة وأخذت أتعرف بالتدرج على تفاصيلها وذلك عبر (انفعالات) ساروت ، فكان عليّ منذ تلك اللحظة أن أكافح وأسهر الليالي الطويلة لكي أصبح مواطناً لهذه المدينة السحرية التي إسمها القصة القصيرة جداً.

كيف كتب بردى قصته الاولى!

قرية تسكن بخجل عذراء متلبسة بحالة عشق صوفي ، وفي بيت يعانق كتف نهر خالد اسمه الفرات ، وفي غرفة مقرورة يحدها الشتاء الزمهريري من شمالها وجنوبها ، شرقها وغربها... أشياء أزلية ، فانوس قديم يعارك منذ الأزل عوادي الزمن ، ومدفأة نفطية تحاول جاهدة إشاعة الدفء في أوصالها المتجمدة ، وسرير يللم أطرافه ويعضّ ثوبه القطني متحاملاً ومتجالداً لحمل جسدي المسكون بسعير الكلمات ، ورأسي الخليق يسافر عبر البوادي إلى حيث مراتع الصبا والشباب في الشمال يرسم في تلافيفه سفر الرحيل ومزامير الالتقاء ، وصدى أغنية قديمة تنسل من الحواس الخمس ترنيمَةً لفرحٍ أت.

عندما تغطي الثلوج قمم الجبال

ويهبط الليل.. الليل الأبيض

يتناجى العشاق... وتدندن الأعصان العارية

بالأغاني الأليفة

يأتي فارسك الثلجي على صهوة القمر الفضي.
عبر هذه الرؤى التي عانقت صدر أوراقِي ولدت أول قصة
قصيرة جداً من رحم رأسي عبر مخاضٍ عسيرٍ عام ١٩٧٧ فكانت
(صدى) ٤ طفلي البكر.

٤ صدى هي القصة الثالثة في مجموعتي القصصية (حب مع وقف التنفيذ -
قصص قصيرة جداً) الصادرة عام ١٩٨٩.

الأعجوبة

هي بقايا أطلال وسط المدينة العتيقة ، بعصاه المعقوفة يضرب
الحجارة الخرسانية ويحرق عبر عينيه الكامدتين ، لم يبق من هذا
العالم إلا... يشغل أكوام الحجارة الصماء التي كانت في اتصالها
وتكاتفها فيما مضى تشكل بنيان داره العامرة التي عصفتها الأيام ،
فكر وهو يمسد لحيته البيضاء.

- سراب... كل شيء سراب.

تدور العينان الحجريتان ، يراه في تفرده متهاكاً كأرملة في مقبرة
مقفرة... أه... أيها الشيخ يا من ولدتني من رحم أصابعك ، يا من
زرعتني في أحشاء التبن والطين الحري الصلصالي ، هلم إلي...
يقترب من الحائط الأرملة ، يلمسه بأصابعه ، أحجار على أحجار
بينها وسائد رقيقة من طين متقشر ، يمد ساعداً مليئاً بالحبال الزرق
ويفتت طبقة طينية فينسلّ التراب متساقطاً من بين أصابع ناصلة
بأظافر خضراء مصفرة.

- هلم ، يا أبي ضعني في حضنك الدافئ.

وبتهالك عليه ، يشعر الشيخ براحة جسدية مفاجئة ، يتحسس الحائط بالأحضان الدافئة ، والانفاس اللائبة للأب / الأم / الشيخ... والناس الذين حاولوا إخراج الشيخ من تحت الأنقاض عبثاً كانوا يفعلون ، فقد صاروا كيئناً واحداً: الحائط والشيخ.

عشبة كلكامش

جبل شاهق يناطح المطلق ، يحنو.. أو يجثم على أنفاس نبع رأسه
يغفو على أحجار هذا المبارك الخالق ، وقدماه تنبسطان ، تجريان ،
تغسلان الحقب والتضاريس ، وتنتهي قدماه المعفرتان بالبقايا الإسيانة
لأوساخ الساعات والحسك القديمة في أديم يصب في تيه أصفر
رمادي... وقرية ذات بيوت متشابهة متواضعة ، ترسم الليالي
والنهارات. الأصيف والشواتي ، الغيوم وجدائل الشمس ، على
كلسها العتيق حكايات سرية معبأة في صدور رملية صلدة لرجال
ونساء مصلوبين منذ أزل الكون في الأفياء والأفنية ، وفي الظلام
الصائل للغرف السرية وتأبى الشفاه المرمية الباردة أن تسرد البقية
الباقية بعد أن وصلت في آخر سهرة إلى سؤال حاسم هو:

- لماذا لم يأكل العشبة حال خروجه من الماء...؟

ثم يهتفون بأسى:

- أه... يا كلكامش.

نظرة قصيرة فقط

مد ذراعه المتعبة نحو الكراس وفتحته على الصورة الأثيرة إلى نفسه ، كان الكوخ يسبح في موجات الشمس الفتية وسرب الدجاج منتشر في الطوار ينكث العشب بمناقيره الخشبية والحساسين تتصاحب بين أغصان شجرة البلوط التي تحنو على سقف الكوخ القرميدي الأحمر مثل أم ترضع وليدها ، والثور الأرقط واقف جنب المحراث الخشبي ينظر بعينيه الواسعتين إلى المدى الممرع بالخضرة حتى سفح الجبل الرابض بعنفوانه الثلجي في أقصى يمين الصورة ، ولج هذا العالم الثر ، وقف أمام الباب الخشبي للكوخ لوهلة ، ثم خطا نحو حُبِّ مركون عند النافذة وشرب من كوب فخاري ، شمّر عن ساعديه المقتولين ، وضع طرف الصاية تحت حزامه ثم مشى نحو الثور المتوثب ، شكمه بجزم وربطه إلى طرف المحراث ثم ساطه بصوته الرابع فأنشأ الطرف المدبب يبقر أحشاء التراب... وحين دخل الرجال غرفته وتناولوا جسده ثم وضعوه في جوف قماش أبيض وأنشأوا يخيطنونه حتى غاب في ثنايا هذا البياض السرمدي حملوه ووضعوه في التابوت البارد ، ألقى عليهم نظرة قصيرة فقط ، ثم عاود الحراثة.

وليمة

إلتصقت الساقان العاريتان بأسفل عضلتي الفخذين المشعرتين
وانحنى الرأس بأقصى ما تسمح به الرقبة المشدودة... اتخذ الجسد
المفكك شكله النهائي على هيئة علامة استفهام تبحث عن
نقطتها ، صارت الركبتان المنطقتان تحت الحنك المشعر المدبب الذي
انفتح فمه عارضاً صفين من أسنان صفرا حائلة ، أحاطت الشفتان
المتيبستان للبنيان الأنسني المنهوك بأحدى الركبتين وطفقت الأسنان
الحديدية تعالج اللحم المقدد.

تعاقد

إلى الأب د. أفرام سقط

في البؤبؤ نقطة قاذحة تشع سناها نحو الأبدان البلاستيكية التي تحتل الدواليب الألمنيونية وفوق المناضد الزجاجية والرفوف الأبوسية ، بأحجام متباينة وسحن متعددة ، الشقراء والسمرء والحنطية ، والصمت يغريها بنقل عيونها بالتناوب بين الدرجات التي تحتل البلاط النايلوني التبني ، والبنيان الطفولي المذهول في وقفته بقامته الندية الرخصة إزاء الساق الطويلة للأثى التي أوصدت اسماعها للتأأة المنسلة من الفم المتحرق ، إستيقظت في ذاكرتي صورة حائلة أيقظها الزمن الرمادي العتيق لصبي يتطلع بفم مفتوح متحسر إلى مبتدأ زقاق يفضي إلى عالم مخملي يحتل جنباته صبي يماثل سن الآخر بثياب نظيفة وبشرة شفافة وهو يجعل بدراجة زاهية ، التأأة تتحول إلى سياط من ذكريات مؤسية.

- أريد هذه الدراجة ياأمي.

يخرج الجسد الأنثوي المتعب ، تتسمر العينان الطفلتان على بدن
دراجة ملونة ثم تنسل الخطى اليافعة وتمتطيها المؤخرة الصغيرة ويعلن
الفم.

- فن.. ترن.. فن.. فن..

وثقب الفضاء صوت الأنثى الزاجرة تم تنسل من الفم اللدن
أهة جارحة والوجه يتلقى صفعه قوية ثاوية ، يتبعها نشيج ملتاغ
أسر ، ولكن الأقدام اللدنة تتجذر متوحدة بالبلاط ، تنحنى الأنثى
وتحمل الصبي فترتفع الدراجة معه مع نشيج حزين حسبته في البدء
يتدحرج من صدر الصبي ، بيد إن الفم المطبق المشدود جعلني لا
أخيب أحساسي بأن النحيب المتعاطف الحنون كان يصدر من...
الدمى.

يوتوبيا

إلى المبدع أحمد خلف

عند الغسق للمم الكتبي الشائب كتبه المبعثرة على الرصيف ،
صار يتملى عناوينها: شتاينبك ، ديستوفسكي ، بارت ، فوكو ،
كوكتو... إلخ ، طفرت دمة ثاوية من عينيه الكامدتين... لا أحد
سوى أصحاب محلات الكوي والحلويات والكرزات يشتري
بضاعته ، أولاده الأثيرون إلى قلبه ، وضعها في كيس (الجوت)
القديم ، رشق فم السوق المسقف والمسكون بالغروب بنظرة
رصاصية ، أركن الكيس على ظهره وانسلّ نحو الزقاق المفضي إلى
سيقان الجسر الحديدي ، تسلّق رصيفه المزوّت ، أقدامه العتيقة
تسحل زاحفة نحو القمة ، تقرّص على الأرض حين صار نقطة
جذب بين طرفي الضفتين ، أخرج صحبه القدامى وفرشهم على
الرصيف ، ورّبهم على هيئة عمارات وشوارع وبيوت تعج بأنفاس
الحياة المتنامية في عواهما ، مدينة يحاول منذ زمن بعيد خلقها في
مدى الذاكرة المهووسة بالإبتكار ، ثم خلع نعليه ودخل يوتوبياه.

السؤال

ضغط على الزر الأحمر فانطلقت الموسيقى ، إهتزَّ بدنه متساوياً مع الإيقاع البرقي لصدى الآلات المصطنحة ثم انشأت أنامله تتراقص على المقود مشكلة رقصة سريعة لا هوية لها ، وصارت الأشجار تتسابق راكضة نحو الخلف في تواز رهيف مع أسلاك الهاتف من الجهة الأخرى... لاح الجسر الحديدي الذي يشكلّ فم المدينة ، انتفض جسده بغتة مستجيباً للصعقة الكهربائية المتواترة المتوالدة من الجهة اليسرى لصدره ، حاول أن يُنهض جسده ، أن يضغط على الكابح ، أن يمسك بالمقود بقوة لكن الصعقة كانت تنتشر في الملايين من حجيرات دمه وأنسجته لتحيلها إلى مخلوقات محتضرة ، تصاعد خدر لذيذ إلى رأسه ، إضمحلت أشياء الشارع امامه: الجسر ، الأشجار ، أعمدة الهاتف ، الغيوم الربابية ، شدو البلابل على أفنان الأشجار... إلخ ، والآن من يستطيع أن يوقف سيارة تقودها... جثة؟

ولادة

مطر مدرار.. في الأديم الرمادي المعرش بالجدب والحمأ.
مطر..... ووحدي أتلقى حمحة الغمام اللائب.
مط..... وجسدي يتمطى محتوباً هذا الإنتشاء المتواصل.
م..... وتتحرك أقدامي / أوتادي.. منفكة من الطبقات
الصفرة ممزقة الأصفاد الأزلية ثم ترسم على وجه الرمل الصائل
الأخدود العريض العميق لمساري.
مطر..مط...م.....

وأصير نهراً.

متوالية

صقر ، وحمامة بيضاء. في عمق العينين رجل باشق.
صقر ، وحمامة رمادية ، في عمق العينين رجل محني الظهر
يتوكأ على عكاز ذات رأس ذئبية.
صقر ، وحمامة سوداء ، في عمق العينين رجل واهن إفترش
التراب وإلتحف الفضاء ، بعينين زجاجتين مفتوحتين على
إتساعهما.
جثتان ، لصقر وحمامة بلا لون.

محطات

إلى الدكتور ماهر خليل ابراهيم

وقف... طفل يحدّق في لوحة تمثّل شجيرة متسريلة بأوراق خضر
وطفق يبتسم.

وقد... شاب يحدق في لوحة تمثل شجرة باسقة بأوراق داكنة
الخضرة وطفق يعن في تفكير عميق.

و..... كهل يحدق في لوحة تمثل شجرة معمرة وطفق ينشج
بصمت أسر.
؟.....

يحدق في لوحة تمثل!؟...

وطفق....

الفخ

- وأخيراً...

نظقت بالكلمة جذلاً وركضت بأقصى ما أستطيع نحو الأكمة الرملية حيث يجمع الرمل وتتطاير ذراته بفعل الضربات الحادة لجناحيه العملاقين ، وضعت طرف صايتي في فمي ونهبت الصحراء نحوه ، وقفت على مشارف الواقعة ألّهث ، لا أعلم استجابة لمن.... للربو أم للفرح باصطيادي له بعد لأي ، وقفت أراقب نهاية الصراع ، كانت الأصفاد تحكم على جناحه الأيمن المدمى ، والحمامة القتيلة تتأرجح عالقة بمخالبه.. كانت الهالة قد تحددت في مدى الاستدارة الوانية لجناحية المتعبين ، وعيناه الوامضتان تتفرسان بقسوة واعياء في الأرجاء ثم توقف بؤبؤاه على عيني ، شعرت بلظى نظراته فأخفضت رأسي تهيّباً ، ثم رفعتهما لتُصدم عيناى بالأظفار الحادة طامسة في عمق الرقبة المغزلية اللدنة وتخرجان من الجهة الظهرية فيما كانت مخالب القدم الأخرى تجهز على الطرف الآخر للرقبة لتفصله عن الجسد وليتدحرج رأسه ممتزجاً بذرات الرمل الفائرة...

ماراثون

إلى عبد الستار البيضاوي

كان يلاحقه قبل أن تشيخ الساعات ، يركض بأقصى طاقته ،
والآخر يناى عنه ، طوى الهضاب الجرداء ، والأنهر الغرينية المتلبدة ،
والمدن المغبرة العتيقة ، والصحاري المنحطة ، ولكن عبثاً... فهو لا يزال
في سكونه يعجز عن اللحاق به ، ولم يخبره أحد من الذين
صادفهم ، أنه يلاحق ظله...

المظهر

كانت تزهو بكل إكتمالها الأنثوي / إنها موناليزا القرن / تكاد
تظفر من الإطار المذهب / انها تنطق /... الأصوات تحترق الصمت
المريب ، والكلمات تتراقص أمام مقلتيه: مقالات ، مقابلات... ربما
سيستطيع أن يستنبط مدرسة فنية مستقبلية جديدة. تذكر قولاً
مبتوراً لشيخ إستوطنه الخرف.

(... عندما يبلغ الانسان ذروة الكمال ، ينبغي له أن يموت وي...)
حملها بيدين حانيتين ، يستشعر الدم الحار بين العروق ، على
الفخذ ، في الجبين ، تلمس الوجه الناعم بسكين المرسم ، كان يتألم
بصمت ، ومن ثم باستسلام سادي للشفرة الناصلة وهي تحز الرقبة ،
ثم تحول الوجه الى اشلاء فتهالك على الكرسي يلحق جراحه.

المشروع

إلى خالص إيشوع

وصل إلى الثيمة التي أجمته أمام سؤال يبحث عن إجابة.

- ثم ماذا..؟

كور قبضته مسوراً ذقنه بين كفيه ونفخ فيهما زفير الحيرة
والقنوط..

- أين سترسو سفينة الأحداث؟

أحس أن كل العالم الصاحب الضاج بدفق الحياة الذي كان
يتسرب من أصابعه يكاد يتشمع فوق زمهير الورقة الجليدية المنطة
على المنضدة أمامه.

- سأجعلها تطير في أديم لا متناه...

أغمض عينيه واعتصر أخيلته علّه يشحن أوصال قصته بنبض
الحياة و...

- لا جدوى ستذيب الشمس شمع الأحداث وتتهاوى نحو
حضيض العدم.

طوى الورقة طيتين ، سمع أنين البطل الخائر...

- لم يفلح مشروعي في الوصول إلى الشمس.
طواها ثانية ثم ضغط عليها بقوة.

- ويبقى مغمطاً على الأرض.

رفع الورقة في الفضاء وصيرها مركبة فضاء وأطلقها في فراغ
الفتار فتطايرت أوصال البطل وذاب جسده الشمعي فوق البلاط
وتهشمت المركبة على مقربة من الكيان الأشوه الذي كان قبل
لحظات بطلاً قصصياً يطمح بمشروع يستحيل على العقل أن
يستوعب أبعاده...

- لأجرب ذلك عملياً.

نهض من كرسيه ، وضع القلم فوق ورقة بيضاء جديدة ثم مشى
صوب الباب ، فتحه على مصراعيه وابتلعت السماء.

القرد

إلى جمال نوري

هم بقايا قرن مضى ، عتيقون جداً يضاھون عتق الأسرّة والمناضد
والدرفات المخطمة للنوافذ الخشبية المتأكلّة ، حتّى الشمس التي
دخلت تواءً من خصائص النوافذ تبدو منهكة بحاجة إلى رسم يثوي
مفاصلها المائتة ، كانوا يفترشون البلاط القديم المرشوش تواءً ،
يضحكون بصمت أحرص وهم يحدّقون في دمية على هيئة قرد
يرقص دون كلال ويدور حول محوره واضعاً يديه ، إحداھما على
قمة الرأس والأخرى في الدبر الدامي ، يضحكون دون توقف
متجاهلين النداءات اليائسة لزميلهم الذي يحمل قرناً ويضع سنين
على كاهله لكي يغني لهم الأغنية الأخيرة.

كتاب

إلى نامق سلطان

كل يوم عندما يغلق الباب ويستدير مواجهاً الكتب المتراسة في المكتبة تصطدم عيناه بالكتاب المتهرىء الذي وجدته فجأة ذات صباح مطير في مكانه هذا بيد أنه لم يفكر منذئذ في فتحه... هذا الصباح وجدته ينظر اليه باستفزاز جعله ينقاد اليه ويخرجه ، نفض عنه الغبار ثم جلس الى المكتب وبدأ قراءته... لما دخلت عليه زوجته في الضحى صرخت ذاهلة حين عاينت مكتبة آيلة للتداعي وسجادة عتيقة قضقضها العث ، وجرذان رمادية عملاقة منهمة في احالة الكتب النفيسة الى بقايا سليلوز حائل ، وشيخاً يشبه زوجها قد ألصق عينيه الغائرتين خلف حاجبين أشبيين في ثنايا الصفحات الصفرة النارية.

الليلة الثانية بعد الألف

إلى ريكاردوس يوسف

يجر جر خطاه مشحوناً بريته وخيبته القديمة متمنطقاً حساماً
خشيباً ، يصدح في الفضاء عزف ناي حزين وصوت موجع.
- إنه أسير نفسه ، كائن أصفاده ، شك وأنوثة..
ويختض جسدها فرقاً ، تغطي عينيها النجلاويين بكفها الزاخرة
بالأنوثة والرعب الأبدي ، وتتقصى عبر أصابع كفها تلافيف الفجر
الأعجف الرمادي وشكل الجلاذ الأقرع العضل وهو يسحلها إلى
عالم.. الفراغ والعدم والضباب... الثالث المهيمن على فضائه.
يشبك ذراعيه حول صدره العاري المشعر ، ويرفع وجهه الأسمر
الشائخ ، ينتشر الحزن في قسماته ثم يلهج.
- من يعتقني من سحر الحكايا ، ومن يطلقني من أصفادي
الأبدية..؟

... وفي الليلة الثانية بعد الألف: نامت الحكاية.

دعموصة

إلى صباح مجيد

تفتحه على سعته ، فم أدر متشقق يستجدي بقايا رطوبة
ارتحلت مع خيوط الشمس اللابثة ، انخني عليها ، تصير إزاء عيني
تماماً ، تتحدد مساحة الرؤيا بمساحة متقشرة لأثر حذاء قديم تبيست
حوافه وانفتحت على أخاديد غائرة ، تفتح فمها أكثر وتتوسل الحياة
الراحلة بالبقاء فترة أخرى ، أمد أناملي وأمسد ذنبها الأسطواني
الكالح ، تنتفض بوهن وفرح من استشعر نجدة آتية ثم تنقلب على
ظهرها عارضة للشمس بطناً رمادية ، تسافر الذاكرة مستقصية صوراً
شتى لبني انسية غضة محتضرة تنتظر من يمنحها فرصة لشهيق
اضافي ، أنهض ، أتملى الأرجاء.. هياكل سيارات وأكوام من الحديد
الصدئيء ، فتحت أزوار بنطالي وأفرغت مثانتي في الحفرة ثم.. رأيت
الجسد المغربي يسبح في الماء الرغوي بفرح طاغ بان في حركات ذيله
اللولبية.

المخاض

السماء أعلى الصاري المحطم تشابك لوني بنيانه أسود وورصاصي
وبياض فريد ، والبحر كائن سكنته العفاريت ، والسفينة تئن
متوجعة تتلقى صليل الأمواج المسوسة بأستسلام ، والليل يبسط
ببلادة عباءته فوق المهرجان ، وحين استحال الكون في عيني
القبطان اليأس توابت تعقب توابت تسعى بالتتابع إلى عمق
اللجة. في تلك الهنيهة فقط وفي إحدى غرف السفينة كانت هناك
إمرأة ممددة وقد باعدت ساقها وهي تئن بتوجع قاتل وتضيع
صرخات الطلق الحادة في ثنايا أنين الأمواه.. ولما غرقت مقدمة
السفينة وغطى الماء كل ما يمت إلى الحياة بصلة ،.. أطلق الطفل
الخارج من رحم المرأة صرخته الأولى.

الفراش الأبدى

يلسعها السعار المحموم ، تفتح مآقيها ، الملايين من مثيلاتها يغطن
متخدرات في نوم أبدي والساحل ينوء بحمل الثقل الرصاصي
الناث من السمات ، تحدق نحو الأفق الآخر: بحر وسماء ، تهمس....
.. لو..

فتحس بأيدٍ لدنة تمسك بها ، تصير مع صويجباتها في الكف
الصغيرة ، تتكور ، تتزحلق في ثنايا الجلد ثم يتدحرجن بسرعة نحو
الخط الفاصل الذي يحدد العالمين.. تأتي موجة صغيرة وتعانقها
باستحياء فتشعر بارتعاشة ، تهمس.
.. أه...

وقبل أن تستطرد مكملة العبارة تحملها أخرى نحو عالم سري
يصير القاع المحصب فراشاً أبدياً لها.

الصمت الفارغ

أدار الأكرة ونقل الخطوة الأولى ، إنفتح المكان أمام مقلتيه هلامياً
يغرق في عالم ضبابي ، احتواه الفراغ الرصاصي لهواء القاعة ،
استدار حول محوره وصار يتملى الأرجاء. كل شيء في أتون
صمت فارغ ، مشى نحو البيانو ، جلس على الكرسي الباذخ ، رفع
كفيه المتصالبين فوق الصف المتراص الملون ثم داعبه بجنو ابوي
فأنشأ البيانو يئن بنبرة لبوة ملتاعة ثكلى ، فأخذ الرجل يشارك
الكراسي والستائر المعدنية واللوحات وتمثيل الأبواب الموصدة بكائها
المريـر..

حين

حين أخرج الصياد الحسون من الشبكة وأعطاني أياه كانت
الفرحة في عيني قطعة سكاكر لذيذة ، وحين كنت أتنبكب الأزقة
الظليلة في طريقي من السوق إلى البيت كنت أفكر في شكل
البيت الصغير الذي أبنيه لحسوني الجميل ، وحين وصلت إلى فم
الزقاق الذي يفضي إلى دارنا نقرني الحسون نقرات متتالية مؤلمة في
ظاهر كفي اللدن ، أرخيتها من شدة الألم فطارت أحلامي كلها.

الصقر

تيقنت قطعاً إنه ينتحر ، اليوم الثالث على هذا الديدن ، إسترخاء كامل ، إطراقة صامتة وفي الزوايا القصية من القفص الحديدي ترقد حمامة تتفجر رعباً ، همست... سيموت لامحالة إن لم أحرره.

فتحت الباب ، مددت ساعدي الملفوف بالجورب الجلدي وامسكته من مخالبه ، إرتكن باستكانة في راحة اليد ، أخرجته... وضعته على الأرض.. على الأرض نفسها التي وجدته مضرجاً بدمائه ، رفع رأسه المدبب ، رمق الفضاء بنظرة اشتياق ، ثم... فرش جناحيه معانقاً صهوة الريح ، إنتشر ظله أمامي دائرة كبيرة ثم تصاغرت حتى صارت نقطة صغيرة ، رفعت كفي أتقي الصهد الناث من الشمس ، لخته يهوي مثل طائرة محترقة ، ثم اختفى في الأفق ، وارتفع ثانية في السماء وفي مخالبه أرنب أسلم أمره للقدر ، وحين حاذاني في تحليقه الحثيث لحت عينيه تقدحان بروقاً تضيء عتمات زنانات الكون كلها.

توحد

يثقب بكاراة البحر ويغوص بعيداً صوب الجزر المرجانية
والصخور المدبية الخضراء ، ويدخل تخوماً ويطاحاً وأذناه تتعقبان
صدى تلك الصرخة الموجعة. يتعب ، يرفس ساقيه نافضاً الأصداف
بقدميه ويصعد بجسده الرشيق نحو الأعلى ، يصير رأسه فوق سطح
الماء المترامي حد الأفق الأزرق ، يحدق عبر القطرات المألحة الساقطة
من شعره المسدل الملتصق على جبهته ، يرى الساحل الرملي
الساخن ، ينيخ النداء الموجه دهليزا أذنيه فينغمر ثانية ، يدخل
مدينة ، فقرية ، وعند تشابك هائل لكروم دانية يبصرها بكل رخصها
الأنثوي الطاغي تقف إزاء عنقود أسود كلون شعرها ، تفتح ذراعيها
العاريتين البضتين ، تتقدم ، وحين تأخذه بين ذراعيها تغيم الرؤى في
بؤنوي عينيه ويصير للماء لون الرصاص المصهور.

المجموعة القصصية الثالثة

عزلة انكيدو

مطبعة نينوى - بغداد

سنة الإصدار ٢٠٠٠

قصة قصيرة جداً.. أم أقصوصة...

أم قصة قصيرة قصيرة!!

° يتفق أغلب النقاد على إن ناتالي ساروت هي أول من كتب القصة القصيرة جداً في (إنفعالاتها) مطلع ثلاثينات هذا القرن ، وأرست دعائم . دون تنظير . للشكل الأمثل لكل (إنفعال) من إنفعالاته ، ويمكن أن نلاحظ الأسس الرصينة التي شيدت بها هذا البيان المتفرد ، ولكن ما يلاحظ في (إنفعالاتها) بإنها ما أسمتها قصصاً قصيرة جداً ، بل إكتفت بوضع العنوان الرئيسي مطلقاً في مدى قصصها الأربع والعشرين.

° ولا يتفق أغلب النقاد أن أو. هنري هو أول من كتب القصة القصيرة جداً في أغلب النصوص التي نشرها نهاية القرن الماضي ومستهل هذا القرن رغم توفر كل الشروط الفنية التي أشار المنظرون . فيما بعد . إليها ، ولكن ما يلاحظ على أو. هنري بأنه ما أسماها قصصاً قصيرة جداً ، أو أقاصيص ، أو قصة في دقائق ، أو قصة الصرعة ، أو قصص السندويج ، أو قصص المترو ، أو المحطات...

إلخ ، بل أطلق المصطلح المتداول المعروف (قصة قصيرة) ... مدركاً أو غير مدرك بأنه فتح الأفق الرحب للاحقيه لكي يدخلوا مملكة القصة القصيرة جداً ، وبدون عناء.

° يلاحظ أن النقاد الغربيين أطلقوا التسمية الأكثر تداولاً short short story وترجمتها الحرفية (قصة قصيرة قصيرة) ومن ثم شاع هذا التداول عالمياً ، ولكن عندنا شاع استخدام المصطلح (قصة قصيرة جداً) تمييزاً عن القصة القصيرة العادية ، متناسين إن تكرار (القصيرة) هو توكيد جازم لقصر القصة وتميزها عن القصة القصيرة ضمن مواصفاتها المبتكرة ، وفي ظني أن الوقت لا يزال متسعاً للنقاد والمنظرين لكي يضعوا المصطلح الدقيق لهذا الفن.

° ما ترجم من هذا الفن إلى العربية قليل جداً لا يتجاوز كتابين أو أكثر ومنها كتاب (فن كتابة الأقصوصة) الصادر عن الموسوعة الصغيرة في بغداد عام ١٩٧٨م ، ترجمة كاظم سعد الدين وهو مختصر لكتاب:

Writing the short short story

وهو كتيب بتسعة فصول لكتاب مختلفين ، تناولوا هذا الفن الإبداعي تنظيراً وتطبيقاً ومنهجاً... ولو تمعنا جيداً بتاريخ التأليف الأجنبي الأصلي للكتيب (١٩٤٦) لوجدنا إن أكثر من نصف قرن مضى على إصداره ، ونحن ندرك مدى البعد الزمني لحاضرنا عن زمن إصدار الكتيب ، هذا الزمن كفيف يجعل المواصفات والشروط والقيود والأسس التي بنى عليها المنظرون لهذا اللون الإبداعي ،

تتغير وتنزع عنها ثيابها لأكثر من مرة... وبتنا تقريباً نجهد الأسس الحديثة التي تدع بها هذا الفن الإبداعي المستقبلي ، وبات السؤال يطرح نفسه بقوة:

- ترى ما هو مآل القصة القصيرة جداً... أواخر القرن العشرين..؟

فما أحوالنا الآن مترجمين متخصصين يولون هذا الفن الإبداعي إهتمامهم وإيصال كل ما استجد في هذا اللون الإبداعي عسى أن يكتشفوا لنا واحة ظليلة تروي ظمئنا المستديم لكل ما هو جديد.

إنه دعوة مخلصمة ولجوجة... لا تستكين.

° ما يفعله المستهلون والطارئون وأصحاب النية غير النظيفة ، بكتابة دفع من كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أو حوارية تنتهي بمثل ما أبتدأت به ، أو تصوير فج لحادثة لا يمكن أن تصير حبكة ، أو كلمات يتوهم ناسجها إنها شاعرية متوهماً إن القصة القصيرة جداً هي مجرد نشر... وغير ذلك من الكتابات التي تدخل في خانة اللاجدوى ، فهي لا تقرب هذا اللون من القص من قريب أو بعيد ، فالقصة القصيرة جداً شأنها شأن صنوها القصة القصيرة لا يمكن أن تكون كذلك حين تفتقد الوحدات الثلاث (الزمان ، المكان ، الحدث) حتى لو أدخلنا الطرائق الحديثة في القص بإدغام هذه اللوحات وتغييبها ، وما إلى ذلك من أساليب القص الحديث ، فينبغي أن لا نلغي الأساس المتين الذي يرتكز عليه سائر البنيان.

° هذه... القيود التي لا يزال النقاد متمسكين بها كشرط أو مقص الخياط أو مسطرة المهندس ، يطرح القصة القصيرة جداً أمامه ، ثم ينشأ يقص أو يقيس ضمن تعليمات وقياسات عفى عليها الزمن ،... أما أن لنا أم نتحرر منها ، أن نكسر المقص ، ونقطع الشرط ، ونحطم المسطرة ، ففي يقيني إن أي ابداع مشروط بقيود يبقى بضاعة عند الطلب ، والبضاعة لا يمكن أن تحمل في أحشائها صفة التجدد والإنبعاث والولادة.

° من خلال التقصي والتمعن الطويل لم أجد ما يشير إلى ضرورة وحتمية عدد كلمات القصة القصيرة جداً إلا الناقد (ترنتويل ميسيون رايت) إذ حددها بـ (١٢٠٠) كلمة ، ولا أدري فيم إستند السيد الناقد في تأطير بنية القصة بعدد الكلمات على حساب الخصائص الأخرى التي لا تخدم بالضرورة الإحتكامات التقنية الفنية للقصة القصيرة جداً.

° شاع عند نقاد القصة عندنا ، إن البؤرة المشعة تتشظى إلى بؤرة متفرقة عند الفصل بين مقطع وآخر ، فنراهم يخافون الفواصل في القصة ويتطّيرون من العوازل بين مقطع وآخر لاحق ، بحجة أن البؤرة ستتشتت وبالتالي ستتكسر(الإبرة) وتبهت الصعقة أو المفاجأة. ضمن فن العمارة الحديثة تفهم وترجم الجمالية في التدرج الهارموني في الاشكال المتدرجة ، وان هذه التشكيلات المتسلسلة والمندمجة والمتفرقة بفواصل ، تعطي في النتيجة البنية الجمالية الأخاذة للشكل المعماري المشيد... فالقصة القصيرة جداً شأنها شأن

فن العمارة عبارة عن وحدات بنائية متدرجة تفضي الى الحتمية النهائية ، الى البؤرة المتوهجة فقيم الخوف من الفواصل والوحدات البنائية المتدرجة.

° لتبدأ الأقصوصة قريبة الى الذروة ما أمكن (توماس. ي. بيرنز).

° ان كتابة الأقصوصة تحتاج الى مهارة أكثر وسرعة أكبر وتكثيف أشد وبراعة أعظم مما تتطلبه القصة القصيرة الاعتيادية. (وولتر كامبيل).

° لعل الأقصوصة من أشد أنواع الأدب القصصي صعوبة في اتقانه ، انها تتطلب صيغة من نوع راقٍ اضافة الى قابلية الابتكار (ترنتويل ميسيون رايت).

الحلم

كان ينشج بصمت كمي لا تسمعه زوجته في الغرفة المجاورة ،
أحس إنه لوحده لا حول له ولا قوة ، وإنه يتيم حتى العظم ، مسح
الدمعة الثاوية المنسلة من عينيه الى طرف شاربه ، تدفق الشلال
البارد مندفعاً من قلبه الواجف إلى تلافيف دماغه ، تطامن الفيضان
من وهاد رأسه ثم انبثق كالشلال من عينيه ، صار نافورة منتصبه
وسط الغرفة الكئيبة المظلمة ، يتدفق الماء من رأسه الى السجادة ،
صار نبعاً من ماء أسود مؤلم.
هتف: ربّاه.

القطرات المتجمعة أسفل جسده ارتفعت لتجلد قدميه وساقيه
وفخذيته بسياط الألم... وجعان يحاول مقاومتها ، وجع رأس يكتوي
بأمواج الدموع المصطخبة ، ووجع أسفل جسده تحزّزه سكاكين المياه
السوداء ، لهج بألم ممض.
- إنني أموت.

ومن الصورتين المتجاورتين المصلوبتين على جدار الغرفة ترجلا

سوية: كهل وعجوز... وقفنا أمامه تماماً... من خلل الدموع المنذهلة
أبصر الشيب الرائع لكليهما يتحول بالتدريج إلى رمادي ، ثم رمادي
أعمق ، ثم أسود ، والتجاعيد المحفورة في الوجنات والجبين والعنق
ينمحلان وتظهر بشرة يافعة سرى فيها دم قان ويتورد الوجهان
بالحياة الغضة ، وجسده يصغر ويتسامى حتى غداً طفلاً ، جلس
الوجهان على الأريكة ، ركض صوبهما واستوطن حضنيهما
الدافئين بالتناوب ، صارا يقبلانه ويناغيانه ، شعر براحة افتقدتها منذ
زمن بعيد ، وأخيراً وضع رأسه على صدر أمه الدافئ النابض
بالحليب والحياة ، ونام ، تناغمت أنفاسه ووجيب القلب الحنون
اللابد وراء الغلالة المبرقشة بالورود الحمر والبيض.

نام في الحضن العسجدي واستشعر الراحة التامة ، وفتح موقيه
بعد نومة رخية هائلة ، تلمّس وجه السجادة الناعم المتوحد بجسده
البليل المكدود ، فتح عينيه وهمس.

- أبي.. أمي ، أين ذهبتما..؟!..

وحدّق في صورتيهما ، التهب صدغه ، أغمض عينيه وفتحهما
وحدّق ثانية ، إحدى الصور ، إطار على كارتون ابيض ، والأخرى
أريكة فخمة عتيقة يقتعد طرفيها: كهل وعجوز... يحدقان بحب
وحنان في جسده الذي يتوسطهما.

الأخر

تشكل رأساً واحداً بعين واحدة وأذن واحدة ومنخر واحد ، ثم تفرّع من رأسه رأس آخر ، وتناسل ثالث بنفس الملامح مضافاً إليه لسان طويل مشطور ، وكلما انهيت رسم رأس نبت من رأسي رأس جديد ، والرؤوس كلها تتوالد من جسد أفعواني أرقط ينبت من رؤوس غير مرئية صاعدة من أسفل الورقة ، رفعت رأسي لافتجأ برجل يعتمر سدارة بعينين سوداوين ووجه ملتج بنديف الثلج يتمازج ويتوافق مع السدارة السوداء. ابتسم بوجهي جاعلاً أحاسيسي تتشرب عمق اللحظة التي اختلسها من عزلتي الأسرة ، قال بنبرة أبوية حانية.

- عذراً.

ثم بصوت أسر.

- أسوارك عصية على الأرتقاء.

نفث من غليونه غيمة من دخان ، ورسم ابتسامته ساحرة على شفثيه الريانتين.

- وقلاعكَ عصية على الأقتحام.
ملجماً ومأسوراً بحضوره الطاغى لا زالت مقلتاى معلقتان
بشفتيه.
- وقلبك قصر مسحورٌ لا أبواب ونوافذ له.
ثم بهدوء.
- أنت يافع يا بُني ، لا تجعل جسدك مسكناً لليأس.
ثم وهو يرتكز على النهاية المفلطحة للعكازة وخطاه الواهنة تقطع
بلاط المقهى نحو الواجهة الزجاجية أتاني صوته كجرس يقرع في
مدىٍّ ممرع.
- إفتح أبوابك ونوافذك للشمس.

الكتب

ويقولون أن زمن الحرف ولى ، إن كان هذا صحيحاً فما معنى ما أراه... كهل في العقد السادس من العمر بشياب رثة ممزقة وهيئة زرية ، تحاطف جسده الوسنان أمام المحل بخطاه العجلى ، قمت من مكمني وراء المكتب على عجل وخرجت من المحل وصرت أتبعه ، كان يحملها بين حناياه وعلى دميره المرتق بجنو أبوي مذهل ، حاذيته في خطاي العجلى وخطفت نظرة سريعة ، حزمة مجلات وكتب ، يعتصرها بين جنحيه ويمسحها بكفه المعروقة.

- يالهذا الحنان الرائع.

أين هم ليروا هذا الوضع ، ويقولون من يقرأ الآن كتاباً؟ ها هو أمامهم رغم هيئته البائسة ووجهه المكدود وبدنه الناحل إلا أن أوضاع الحياة لم تمنعه من القراءة ، هذا هو الحرث في الفضاء حقاً ، إنه يمسك المسحاة ولن تكلّ يمينه إلا أن تحضر السماء ، وإلا ما معنى هذا...؟ كهل فقير الهيئة ، غني الروح يتأبط بحنان هذا الكم الهائل من الحروف... إنعطف نحو الشارع الرئيسي وتوقف عند

سقيفة من قماش يقتعد فيئها صبي في العاشرة من العمر تنفرش
أمامه سلال من حب عباد الشمس والرقي والسسي والفسق...
الخ ، رمى الكهل بالكتب على الأرض كمن يلقي عن كاهله
عفريت السندباد البحري المخمور ، تبعثر بلزك متمدداً قرب مجرى
الماء الأسن ، وتمدد إحسان عبد القدوس جنب صحن ينوء ببقايا
برغل وفتات خبز وشيف رقي ، وتدحرجت أشعار رينيه شار تحت
عجلات عربة خشبية في الجوار ، ثم عمد الإثنان... الكهل والصبي
إلى أول مجلة قريبة اليهما ، مزّقاها بلا رحمة ، ثم طويا رزم الأوراق
المطبوعة أربع طيات مزّقاها إلى قطع مستطيلة صغيرة ثم أخذوا
يلفانها على هيئة قبع (قراقوز) ويعبونها بحبات الكرز.
أين هم الآن ليروا..؟

اللعبة

كانت مداخلة نقدية مثيرة حقاً ، صفق لها الحاضرون كثيراً ، ألقى عليّ نظرة قصيرة عميقة ثم مشى يحف به الأدباء الآخرون ، كان سؤالاً محرجاً بالنسبة اليه حتى خيل للحاضرين أنني عنكبوت أوقعتني في شباكها المبطنة بالغموض ، خرجت مع الحضور لتناول الشاي خلال فترة الاستراحة ، كان الناقد يجلس في صدر القاعة صحبة أحد الأدباء ، حالما رأني وقف وخطا صوبي ثم صافحني وقال.

- يسعدني التعرف اليك.

ثم بعد فترة صمت سأل.

- الأخ لبناني..؟

وقفزت الفكرة فوراً جاهزةً جلية الى ذاكرتي ، فقلت لنفسي.

- لألعبها حتى النهاية.

وقلت.

- نعم.. أنا من لبنان.

قال.

- هلم ننفرد عن هذا الصخب ، لنذهب الى الكافتريا.

- لا بأس.

وجلسنا حول طاولة دائرية ، ناديت النادلة وطلبت كوبين من الشاي والتفت إلى الناقد.

- نعم لدي مجموعة قصصية ، سأهديك نسخة منها بعد

قليل.

سأل مسحوراً.

- حدثني عن تجربة الشباب في القصة بلبنان.

اعتصرت ذاكرتي وأسهب في الحديث عن التجربة اللبنانية الشابة ولتعزيز الكلام ذكرت أسماء قصصية شابة موجودة فعلاً ، وعندما انتهيت قال.

- يسعدني أن تخص الجريدة التي أحرر صفحاتها الثقافية

بإحدى قصصك.

قلت ممعنا في تمثيل الدور.

- بمعيتي واحدة.

قال بلهفة.

- هاتها...

وأنشأ يلتهم حروفها ، فكّرت... هل ستنظلي عليه اللعبة ، يبدو

انه مأخوذ بالموقف ، وذاكرته في إجازة طويلة ، رفع رأسه وقال.

- قصة ممتازة ، بها من الحداثة الشيء الكثير ، إضافة إلى جمال اللغة وامتانة التركيبة.
- شكراً أستاذي الناقد العزيز على هذا الاطراء الذي لا أستحقه ولا تستحقه هذه القصة.
- أجاب مؤكداً.
- ولكن ما أقوله هو الحقيقة بدون مجاملة.
- وهنا أفردت له أحد أعداد الصحيفة الصادرة قبل ثلاث سنوات وقرأت.
- (الصديق هـ. ب: قصتك التي أرسلتها لنا ، أقرب إلى الإنشاء من فن القصة ، فلغتها ضعيفة ، وفكرتها مطروقة ، يلزمك الكثير حتى تكتب قصتك)
- فلاحظت الحيرة على وجهه وسأل.
- لا أفهم...؟!.
- هذا الكلام لك أيها الأستاذ ، صح؟.
- بالتأكيد.
- قلت له بنبرة ثقابة.
- القصة الضعيفة هي عين القصة التي قرأتها قبل قليل ، والصديق هـ. ب عراقي مثلك ، وهو المائل أمامك الآن.

مشاريع مؤجلة

فتح عينيه بصعوبة ، تهيأ له إنه نام دهرأ ، لم تستجّل معالم محيطه باديء ذي بدء ولكنه مع تقادم اللحظات بدت تجلو أمام ناظره: سقف من خشب رديء يكاد يلامس أرنبة أنفه وشرشف أبيض يلف بدنه الناحل ، حرر يديه من ربة الجمود الصلد ومزّق الشرشف والوحشة والعتمة ، حاول أن يثرثر ، فعل حد السأم ، ثم استنبط وسيلة جديدة لتزجية وقته فأنشأ يغني ، إستهلك كل الأغاني الرديئة والسوربالية والمستقبلية ، سحب جسده البارد ، جلس القرفصاء ، مزيجاً السقف الخشبي والتراب الهش الناعم وخرج من القبر.

& & &

أومض البرق فأضيئت الأرجاء معلنة عن شواهد قبور متراصة ، وشجرة زيتون متفردة إلتمت على بعضها إتقاءً من البرد والبلبل ، ورجل عارٍ يسعى بين رخامات القبور نحو الباب الخشبي الهائل الموصل.

دخل غرفته ، رأى صورته وقد تصفدت بشريط من قماش أسود ، كان وجهه بعويناته الطبية السمكية ينم عن تساؤل حائر لم يلمحه من قبل ، أضواء المصباح المنضدي ، كانت المنضدة كما تركها..

فوضى هائلة من أوراق مسودة لمشروع لم يكتمل بعد ، تناول قلمه الأثيري ونظارته الطبية ، ثم إنتقى من مكتبته كتباً ما قرأها بعد ، وضعها مع أوراقه في حقيبة جلدية... أطفأ النور ، وابتلعتة الظلمة.

& & &

وضع الحقيبة تحت رأسه وأركن نظارته على أرنبه أنفه ، تمدد باسترخاء مرنماً رأسه على الوسادة الجلدية ، أغمض عينيه وراح يفكر في مشاريعه التي ما أتمها بعد والتي تنتظره في قوادم أيامه الرخية هذه.

حنين

يا هذا الوجه الضاح بالدهشة ، يالهاتين العينين العسليتين وهما
تبحلقان في جسدي المسكون بالوهن.. وأنشأت أتأمل نفسي بعيني
المرمدين ، شيخ وصل إلى أرذل العمر ، بأقدام واهنة وقد بُتر رابعها
فارتكنت على الحائط الاسمنتي بيدني المكدود أتنسم منه عوناً
على البقاء واقفاً بيسر ، ثيابي الأسفنجية التي كانت تزهو يوماً ما
وهي تتسربل على ظهري المربع الواسع ، تهرأت وتمزقت وخرج منها
الاسفنج الحائل اللون وتهالك متدلياً باعياء قرب أقدامي يهتزّ لأيّما
نسمة قادمة من باب المخزن الموارب... في البدء كنت غافياً أتمتع
بساعاتي الثقيلة حين انفتح الباب فجأة وأطل منه وجهٌ حليقٌ شابٌ
يحملق في الأرجاء باحثاً عن شيء ما ، ثبّ قلبي الواهن وتسارعت
دقاته ، لا أدري لم ، ولكن ثمة هاجس خفي أخذ يدب في رأسي
المتعب ويترك أوصاله بمهاميزه الفولاذية وصوت همس عميق يقول:
أتذكره...؟

رنوت الى وجهه وهو يقلب عينيه شاملاً أشياء المخزن بنظرة
متفحصة ، نظر إلى المدفئة القديمة المشلولة والتي تتن طوال الليل
قاطعة علينا ، أنا ، والمبردة الخرساء ، والمروحة المتهالكة والأواني

المكدودة ، نومنا الأسيان.

توقفت عيناه على جسدي ، صار تمثالاً يحدِّق في وجهي بدهشة
وحب ، تلميت وجهه ، تراجع الزمن بأيامه وسنينه وأنشأ الجسد المائل
أمامي يصغر ويصغر حتى صار طفلاً بنظاله القصير وقميصه
الأبيض وتلك الخصلة الصفراء المتهاكة دوماً على جبينه والتي تجعل
من وجهه صورة شبيهة بالقديسين الصغار ، وثب الطفل على قدميه
فرحاً وهو يراني بكل عنفواني وفتوتي مزهواً بشبابي الأرجوانية
وأقدامي الراسخة في الأرض ويدي المتشابكتين خلف ظهري اقترب
مني بجنون ، همست
- إرقى يا صغيري..

يشبك أقدامه اللدنة على ساقي ويمسك بمعظفي بأصابعه البضة ،
يخرج لسانه وقد أخذ منه التعب مأخذاً ، ثم وبجركة مباغته يمتطي
ظهري ، يصيح من الفرح ثم يمسك يدي وينشأ يرقص.. أفهقه بجنون.
- إلب يا صغيري.

ويعد أن يتعب يتهاك راقداً على ظهري مدلياً ساقيه في الهواء
ثم ينام ، أهدهده.
- نم يا صغير.. نم..

وداهمني البكاء ، أنشأت أبكي بحرقة ، سالت دموعي الختيسة
الثاوية تغسل أدران المخزن الرطب ، داهمتني رعشة وراحة إفتقدتها
منذ زمن قصي فرفعت طرفي أتأمل وجه شاب ينظر إليّ بعمق
وحب وثمة في عينيه العسليتين دمعتان صافيتان كالسماء الراضية
خلف رأسه..

البحر

إلى الفنان أمير أوراها

يدخل البحر مرسوم الفنان ، ويمسك الفرشاة ، يقتنص في رأسه
الأشيب المشتعل بالحب والحكمة الأزلية فكرة نيرة ، يمس قماشة
اللوحه بفرشاته المضمخة بالشذر والكهرمان والزبد والأسرار
الدفينة ، يدخل الفنان مرسومه ، يحدق بعينيه المرحومتين بالمغامرة
والجنون ، تتظامن الموجودات في ذاكرته وتندلق إلى حواسه مفردات
دبقة بالحياة: الحصى ، الرمل الفائر ، حبال شمس الهجير ، الزرقه
الشفيفة المشوبة بوهم خطوط خرافية.. يعج فضاء الرسم برائحة
السمك ومخلوقات اليم ، يزدحم القلب بفحيح الريح ، وغناء
الدلافين... ويمتلئ الرسم بالكائنات الخرافية المتوالدة من العصور
الحجرية الأولى والوسيطه والحديثة: جماجم لطيور البحر بحجم بيت
عصري ، ثياب غرقى من عصور النهضة ، صواري خضراء اكتسبت
لونها الكئيب بزواجها من الأشنات ، والأصداف الزاحفة من

الأعماق السحيقة للتوالي المجنون لليالي والنهارات ، يدخل الفنان تخوم البحر ، يمشي فوق الموج ، يتقصي الأرجاء باحثاً عن لحظة فريدة ليصلبها فوق قماشة لوحة عتيقة ، يأتيه الوشيش ، وشيش قريب ، ثم يقتعد قمة نافورة تنبثق من فتحة في ثقب غائر تحفه عينان سوداوان وبدن أزرق هائل ، يستحم الفنان برائحة العنبر ، ومن ثم يلمح: الشمس ، الأنجم ، الغيوم الربابية ، النوارس ، السماء اللازوردية القصية ، العقيق المخمر بالزبرجد والزمن التليد ، وتخوم تتهاوم آتية عبر حقب نائية ، مدن أسطورية بائدة تستيقظ من غفوة سرمدية ، وكل شيء ميتافيزيقي يلامس شائبته الصفراء يهتف به كصوت جنية عاشقة: تعال ، تعال يا فنان ، يا فنان اللون والفرشاة والأقمشة البيضاء.. أهرب من البحر إلى حناياي ، البحر عفريت ، مومياء ، وليل طويل ، وحلم لا صحوة ترجى منه ، البحر (نرجس) لن يكف عن التحديق في وجهه وعشق ذاته حتى تموت آخر قطرة منه ،... يقترب البحر من الفنان ، ويقترب الفنان من البحر ، يفتح باب الرسم ويخرجان معاً يداً بيد وكتفاً بكتف ، الفنان والبحر ، البحر بثياب الفنان والفنان بثياب البحر ، ويمشيان نحو الأفق.

المعادلة

إلى الضنان لوثر أيشو

لا مفر ، أجد نفسي أبدأ كل فجر أصعد الدرجات المرمية ثم
يحتويني ظلام الغرفة المقرورة المتوحدة ، يدخل ضوء بحجم الباب
الموارب فيكشف عن هيكل كرسي قديم يواجه حائطاً رخامياً
تتوسطه اللوحة السرمدية ، أجلس على الكرسي ، أسند ذقني
الخليق على إصبع إبهامي وأحدق فيها... بنيان خشبي نصفه تابوت
والآخر مهد يلبد جوار جذع شجرة جرداء تتوسط أديماً أصفر ، في
التابوت يرقد رجل ضامر الوجه ، يحس بوجودي ، يتململ متيقظاً
من نومه الأبدى ، يفتح عينيه ويحدق بوجهي بإمعان ، يتسمم ، ثم
ينهض ويخطو صوبي ، يجلس قبالي ويفرد ذراعيه ، يهمس...
- لنبدأ.

أتهالك على صدره ، ينشج بصمت ، أهمس.

- لا بأس يا صنوي ، إنها المعادلة.

يمشي بتناقل نحو الحائط ، يقف ، يلتفت ، ثم يقول.

- إنها الشمس... الشمس.

أحدق نحو الشمس التي زحفت بنجل مغطية مستطيلاً صغيراً
في البلاط ، ألتفت لأحدثه ، أجده قد تمدد في جوف المهد وأغمض
عينيه..

الهالة

أمسكت به بكلتا يدي ، شعرت بليونة الزغب الناعم المنتشر على ظهره وأعلى فخذه ، تسلل دبيب حار إلى راحتي كفي فضغطت على جناحيه برفق مستجيباً نداء الوجيب المتصادي لقلبه الصغير ، عيناي تسافران عبر مرزاب الطارمة نحو الشجرة المتفردة وسط الحوش ، وأذناي تلتقطان الزئزئة المتصاعدة في ذرات الشمس المزدحمة بضجيج طيرانهما اللجوج: إثنان ، مجنونان ، متآسيان ، في عيونهما رجاء وفاجعة وإيثار ، وفي جسديهما خوف ورعشة ، وفي رفرقة جناحيهما قلق وتوجس... حاماً حولي وهما يزئزان ، أجا بهما اللابد في تكويرة الكفين بنبرة أكثر لوعة ، ألقيا بجسديهما المغزليين أمام قدمي يتمرغان بتوسل ، ومثل تمثال من حجر وقفت أنظر إليهما مأخوذاً ، رفعا رأسيهما وأرسلا نظرات تحتوى آلاف الأفتدة وملايين الأحاسيس اللابئة ، تقرفصت على العشب ، إلتصقا في الأرض يهيئان نفسيهما قرباناً من أجل اللابد في كفي ، مددت إحدى كفيّ ومسدت ظهريهما بالتناوب: الأول الكبير الغامق

الظهر ، والثاني الدقيق التبني ، ثم وضعت اللابد بينهما ، أنهضت
جسدي ، تهالكا عليه يمرغان أنفاسهما في زغبه اللدن ثم حملاه
بمنقاريهما نحو الشجرة ، وبعد دقائق كنت أمشي في الحديقة مطوقاً
بأكليل منسوج بالعشرات من الحساسين.

تسامي

دخل ، هجم الضوء محرراً الأرجاء من ريقه الغلس المتجهم ،
قادته خطاه الممغنطة غريزياً نحوه ، تفرس فيه.. على حاله ، نفس
الرقدة المستكينة ، ونفس الإطراقة الصامتة ، وأطرافه ممددة باسترخاء
من يستجدي ، راحة لن يجدها أبداً ، مسح ظهره بانامله الراجفة ثم
طبّط على كتفه ومشط الشعر المتهادي على الرقبة بأصابعه ،
وأمسك المقود ثم همس في أذنه..

- هيا يا صديقي..

وقاده نحو الباب ، غمرهما ضوء الشمس الشابة ، بانا تحت
وقدتها صديقان أو أصرتان تكوّنان في إلتحامهما العضوي وحدة
فلزية متكاملة ، وقفا معاً ينظران نحو امتداد العشب العسجدي حتى
التقائه في الأفق الأزرق بخط مستقيم يميل إلى الإصفرار ، وقف إزاءه
يحدق في عينيه الناعستين ، انحدرت دمعة ثاوية اتخذت من وجهه
الملتحي نسيماً لها ، تركها تسيح في جذور شعيرات ذقنه ، أحس
بصفاء يجاري صفاء عيني صديقه ، فهمس...

- الوداع يا صديقي...

ثم اتجه نحو بندقية مركونة على الحائط ، رفعها إلى كتفه ، صوبَ تماماً بين العينين ، وقبل أن يضغط لمح عيني صاحبه تحدقان فيه بعتب معباً بالرجاء ، فهمس...

- أعذرني يا صديقي.

مدد البندقية على العشب ، مشى صوب صديقه ، احتضن رأسه بين يديه ، وفي الموضع عينه ، بين العينين قبله بجنان بالغ.

- لا بأس يا صديقي... سيحدث كل شيء برمشة هذب.

دوت إطلاقة يتيمة اتخذت لها موضعاً بين العينين ، و.. حين همدت الحركة في الجسد الممدد على العشب الأخضر نبت من الجرح كائن صغير تشكل في النهاية على هيئة فتية عضلة لصديقه الممدد ، تكامل في آخر المطاف وقف على أربع يافعات وقد توزعت نظراته بين الكائن المائت وبين الآخر الذي تتدلى البندقية في يده كعصا لا جدوى منها ، خطأ على أربع نحو الرجل المذهول ، مد خطمه وقبله بين عينيه تماماً ، ثم أسلم سيقانه الشابة للريح والسماء وطار في الفضاء ثاقباً الكون كله بصهيل فتى متواصل لا نهاية لصداه.

صداقة

يستيقظ ، ينظر بعينه الحشيشيتين عبر النافذة ، يلمح الفجر يطرق نوافذ القصر ، يحول رأسه المثلث ويرمي السلام الموشاة ببساط رماني لامع نظرة قلقة ، الصمت وحده ينزل درجات السلم وأصابع الليل الهارب تعانق الطرابزون الصاجي اللماع ، يهمس.. لم لم يستيقظ لحد الآن ، ويسحتضر الوجه الأمرد الأشيب بعينه الحائلتين وحنكه البارز وصلعته الكبيرة المتعرجة وتلك الهيئة القميئة الأليفة ، يمشي على أربع مخالب حيرى ، يحاذي العتبة الأولى للسلم ، يرفع طرفه ويقوم أذنيه متهياً لإستقبال تلك الخطوات الرياضية المحبة لصديقه القميء ، تعانق نظراته أطراف الأشباح ، يقفز الدرجات ثلاثاً ثلاثاً ثم يحتويه الممر العلوي الموشى بالبساط الأخضر ، يدلج الغرفة ، يلمح صديقه راقداً على ظهره وقد أدلى ذراعيه وفتح كفيه كعلامة حيرة أو استفهام ، وفي عينيه توقف البؤبؤان على نقطة وهمية في السقف المزدان بشريا ذات نهايات عنقودية ملتمة ، وفم مفتوح يحاول أن يتمم جملة معلقة ، يقف

على حافة السرير ، يموء بتلك النغمة المميزة التي تجعل صديقه
يضحك من الأعماق ويضطرب على رقبتة بحنو أبوي ، يبدو أن
جليسه لا يزال أسير تلك الجملة والحيرة ، يقفز نحو السرير ، يجلس
على ملاءة حريرية بيضاء ، ويسامر الليل الهارب والأشباح المتجولة
في ثنايا هذا الفراغ الكوني الهائل ، وصديق أبت الكلمة أن تفارق
شفتيه والحيرة أن تغادر أنامله الناصلة المتبيسة.

سماء أخرى

حطّت الحمامة المتعبة على أفريز النافذة ، ضمت جناحيها ونظرت نحو صدرها الأبيض ، كان الدم يشخب بسعي حثيث منحدرًا نحو الأسفل ، أغمضتهما وصارت تتسمع دقات قلبها الواهنة ثم فتحتهما وألقت نظرة قصيرة ، ثمة أمامها وعبرَ الزجاج الظليل قاعة فسيحة تسكن في عتمة مبرقشة بمصابيح ملونة تضيء على الأرجاء مسحة رومانسية تتخللها موسيقى حاملة ، وعلى جانب النافذة الأيمن وحول منضدة مفروشة بشرشف وردي يجلس شاب وفتاة ، تسلل إلى حناياها دفق من حنان فأنشأت تمعن النظر باهتمام ، كان الشاب يحرك أصابعه بحيرة وتوسل يحاول أن يجلي موقفاً ما ، بينما كانت الفتاة تنظر إلى وجهه بعينين لا تطرفان ، غاض قلب الحمامة وصار يجاهد في استجداء الدم من عروقها النافرة الغائرة ، صمت الشاب ، نترت الفتاة حقيبتها السوداء ونهضت وانصرفت مثل عاصفة ، شعرت الحمامة بدوار صارت فيه الأشياء الموجودة في القاعة تتمازج أمام نظراتها المسافرة إلى السماء الأخرى:

الكراسي ، وجوه الندل ، الثريات ، والمقعد الفارغ.. الذي بقي فقط
في عينيها ، وجه شاب حزين ونظرة بلهاء مذهولة ونَفْسٌ متهدج
يأتيها عبر الزجاج ، فشعرت إن كل شيء قد ارتحل إلى الأفق ،
فتهاوت من الإفريز نحو سماء أخرى.

حب خرافي

هما إثنان ، رجل و كلب.. يسعيان بخطى متعثرة متعبة في أديم لا
متناه من رمال ناعمة تصطلي بنار حامية تنثال من شمس هصورة.
هما إثنان ، رجل و كلب.. رجل تعرى من ثيابه وقد إلتصقت
شعيرات صدره وعانته وفخذه بالجلد الذي دبغته سياط الشمس ،
ودبق الرمل الرطب بفعل تعرقه الشديد فغدا جسده متيبساً كالحأ.
هما إثنان ، رجل و كلب.. كلب يطالع الشمس بعينين أرمدهما
الرمل الناعم الحارق ، ولسان ينسل من نهاية بوزه الاسيان.
هما إثنان ، أكلا الشوك والصبار والعوسج وكل ما لقيه من
شيء يؤكل ولا يؤكل وشربا البول والمياه الآسنة الراكدة المليئة
بالديدان.

هما إثنان ، يجرجران خطاهما نحو الجهول المتربص خلف كئبان
تعقب كئبان ، يدرجان في كون يتشكل من صحراء خرافية لا
متناهية ، وسماء زرقاء لا متناهية ، وشمس صفراء لا متناهية.
هما إثنان ، صنوان ، حبيبان ، ندان ، صديقان منذ الأزل ، يرمق

أحدهما الآخر مستجلياً في ذاكرته المتعبة الزمن المتبقي لإحتضار
صاحبه ، بيد إن الإنتظار طال واستحال إلى قرون.
هما ، رجل و كلب ، وقفا متقابلين ، شهر الرجل أنياه ، شهر
الكلب أنياه ، ووثبا... الواحد على الآخر ، شاحناً في جسده المدرع
بنزعة البقاء ، كل الحب الخرافي الذي يكنه للآخر.
هما....

الأنين

هكذا ، وبدون تخطيط مسبق وجدت نفسي أسحل خطواتي فوق التلال الرملية المطلة على النهرمتابعاً صدى الأنين الموجه الذي جعلني بإلحاحه المتوسل أعادر غرفتي القابعة حذاء بستان مكتظ بأشجار المشمش والتوت والتفاح ، ضارباً أزقة القرية المتربة الخالية من الناس في مثل هذه الظهيرة القائظة ، متشمماً راتحة هذا الأنين الأزلي مثل كلب سلوقي مدرب ، وتعاقبت عليّ الليالي والنهارات والأصيف والشواتي ، وصارت ملابسي أسمالاً وخرقاً لا تستر من جسدي المسكون برغبة الإكتشاف سوى العورة ومسعاي هذا الجنون الذي يسكن الخفاق بين الضلوع... ومن موقعي فوق تلة كلسية صلدة مطلة على تموجات النهر الرصاصية الساعية إلى مئواها سمعت الأنين جلياً ، ومن نبراته ، هذا النداء الثاوي أستطيع أن أحدد مكانه ، ألوب حول المنحدر الشرقي للتلة الكلسية ثم أنزل نحو النهر ، أرسم على رمله الناعم الرطب معالم قدمي المتشققتين... يجلو الصوت ، يصير بكاءً وعويلاً ، ومن ثم ، يخفت ويصير صمماً

محملاً بالم مؤس ، أقف ، أنصت ، أتلفت في الأرجاء ، تصير مسامات جسدي المتعب أذاناً مرهفة ، أنقاد نحو المصدر بفعل الحاسة التي تلتقطها ملايين الخلايا التي تحفق في جسدي ، أصير أذاناً كبيرة بحجم الشاطئ والنهر والقرية والكون... وأجر جسدي مغنطاً بفعل تلك الجاذبية الحسية التي تقودني إلى أسفل التلة الكلسية حيث ينبثق كهف متسريل بالعمته ، أقف على فوهته ، يصير الكهف كائناً يطلق أنيناً يحزز جسدي بسكاكين ذات حواف ماضية ، أزيح جسدي قليلاً لليمين تاركاً فسحة للشمس أن تخطو نحو الداخل وألمح هيكلاً عظيماً مستلقياً على فراش من رمل بليل مليء بالأصداف ، والجمجمة ما تزال تنن بصوت فاجع ، ومحجراها ينظران بعطش مسعور عاجز نحو كأس من الفضة تندلق من حوافها قطرات النيذ الأحمر مبللة قطعة من الخبز الحار... وثمة على جانب اليد اليمنى الممدودة كتاب بغلاف ذي ديباجة مذهبة ولكن بلا أي عنوان.

إختطاف

أدارت اليد أكرة الباب ودخل جسد ضئيل بأنفاس متهدجة ،
تسلل النور من بين ذراعيه المفردتين مقتحماً الفضاء لتتجلى أمام
الوجه الشمعي معالم المكان... ثم على الطرف المقابل صورة قديمة
يطل من خلف زجاجها المغبر وجه يافع بض لأنثى مبتسمة ، تحتها
تماماً سرير من خشب قديم تنام عليه امرأة تغطيها غلالة شفافة
بيضاء من العنق حتى مفصل الكاحلين ، توقف الوجه الشمعي
فوق السرير وتحركت العينان الثعلبيتان تتأملان الجسد.
عند انسداد الباب كان الضوء الهارب من الفضاء يغادر صورة
قديمة تطل من خلف زجاجها المغبر أنثى مبتسمة... وسرير فارغ
بملاءة غير نظيمة.

سمفونية

الأصابع المتغضنة تكور بمهارة فائقة لب الخبز ثم تلقيه في إناء نحاسي صغير ، والعينان الملتصقتان في الوجه المجمع الذي يحيطه من الشمال شعر ثلجي ومن الجنوب ذقن حجري موشوم ، تبهلقتان عبر قضبان النافذة الخشبية نحو المدى المترامي حتى سفح الجبل المكمل بالثلج وقد إنتشرت على سطحه أشجار الصنوبر والبلوط والجوز والكستناء والتي تضم في أفياءها سقوف الأكواخ الصغيرة وقد انتشرت بين أرجاءها حضائر الماشية ودرجت بين ظلالها أسراب البط والدجاج... ترجع العينان الشائختان نحو الداخل وترمقان العجين المدعوك المنتشر في الإناء الموضوع على حافة النافذة... وإذ يقبلان مرفرفين بجناحيهما الصغيرين ويحطان على النافذة تلتمع في بؤبؤي العينين فرحة طفولية أسرة ، يتقافزان بهدوء وأمان نحو الإناء.

وكان طبيعياً أن يرفع الرجال المنتشرين في الحقول عيونهم للحظة وامضة ويرمقون الحسونين وهما يلتقطان العجين من إناء إرتكن على حافة نافذة خشبية فيما تقوم الأنامل الشائخة المتصالبة بمسد ريشيهما بالتناوب.

متحف

رواق طويل بنوافذ عالية مشرعة والشمس تنسل من خصائصها على هيئة حزم متشابكة لتنفرش فوق البلاط المصفد بالصمت ويرودة الصباح ، حائطان أملسان لامعان شاهقان يرسمان في امتدادهما الطويل المتقابل معالم الرواق ، تنام على أسفل كل منهما ويتتابع منظم ركائز من خشب البلوط اللامع ترتكز فوقها تماثيل وهياكل فخارية ومرمرية انسلت هاربة من ليل التاريخ المحلولك لتحكي لشمس الصباح حيوات وأسفاراً عميقة أصيلة لزمن تليد ، في نهاية الرواق وأمام باب خشبي يجعل الحائطين العالين المتوازيين بتوقفان عن لهائهما الأسيان تنتصب دكة مرمرية خضراء تجلس فوقها جمجمة صغيرة ، أمامها قطعة من خشب مكتوب عليها (نياندرتال)...أحد مستطيلات الشمس المتعددة المنتشرة على البلاط يصفع هيكلأ على شكل آدمي بجسد فارغ لرجل أنيق يرتدي ربطة عنق زرقاء على قميص سمائي يلبد بدعة تحت سترة رصاصية تميل إلى السواد وينطال أسود ينتهي بجذائين أسودين متلامعين ، يبدو

الآدمي بأبهي هيئة ، بيد أن ياقة قميصه لا تنتهي برأس ، ومن
إنفراد الكفين المتوسلتين الممدودتين نحو الجمجمة ينبت فم وعينان ،
في العينين توصل يصل حد الإستجداء ، وفي الفم نبرة حزينة
يائسة..

- إرتديني أيتها الجمجمة لأصير كياناً.

ثم إلى بقية التماثيل.

- من يمنحني وجوداً.. من..؟!.

السفر

تحاول جاهدة بما تبقى لديها من أنفاس أن تتماسك جيداً ، تستوي على فراشها البالي ، تمسك راحتها العتيقة حافة التخت الخشبي ، تدلي قدميها المتشققتين العاريتين حتى تلامسان أرض القبو ، تضغط راحة يديها على الحافة وتستوي واقفة على عمودين رفيعين مرتعشين ، تخونها ركبناها ، تكاد تسقط ولكنها في النهاية تفلح بالقبض على الرأس المعقوف للعكازة ، تنسدل القضبان حابسة صدرها ، تشعر بالإختناق ، تتلمس طريقها متعاركة مع العتمة الساجية ، تحاول أن تنادي أحد أحفادها بيد أن هتافها ينسل كالخشرجة ، تتوسل إلى القضبان أن تفك أصفادها عن حناياها ، تحس بانتعاشة مفاجئة ، تنمل خلايا جسدها ، تركض أسراب الدم مقتحمة عروقها الحبلية ، تنقل خطواتها الواهنة نحو الدرج الحجري ، بالغريزة صارت تعرف الدرب نحو الباب ، نهاية عكازتها المدببة تنغرز في الدرجة الأولى للدرج ، يأتي السجنان ثانية ويكبل صدرها بأصفاد أحكم ، تمسك رقبتها وتفك أزرار ثوبها ، تتهالك

على البلاط ويديها تتسلق الدرجة الثانية ، يضيق السجّان الخناق
على صدرها ، تتوسل الهواء بيد أن الغلس هو الذي يلبي النداء ،
تتلمس أناملها الراعشة بدن الباب الخشبي ، تتحامل وتقف ،
السجّان والظلمة يتناوبان عليها ، تمد أناملها وتسحب رتاج الباب ثم
تدفعه للأمام فتنسل إلى القبو بقايا شمس مسافرة نحو الغرب ،
تتهالك على العتبة ، تعارك السجّان بكل قواها ثم تبصر امرأة يافعة
تخرج من صدرها وتحلق مسافرة مع الشمس..

عزلة أنكيديو

في اللحظة التي بدأ فيها المد هجومه المباغت على القصر الباذخ الصغير المبني من الرمال منذ الأزل... في اللحظة التي بدأت فيها المياه الرغوية الغاضبة باجتياز السياج الرملي الهش للقصر المنيف وصعدت تقتلع شجيرات الأس التي تُسورُ حدائقه الغناء مقتحمة الصالة الأنيقة المفروشة بالطنافس والمكاتب الأبنوسية الملتمة من خلال الأبواب الثلاثة المؤدية إليها بعد أن خلعت أبوابها الصاحية الرملية. صعد أنين موجع طويل من جوف القصر المسكون بالليل الداجي ، ومن نوافذ منقذة الأظلاف وقد استوطنت أطرها الخشبية تشابكات عديدة لعناكب خرافية ارتحلت منذ زمن بعيد إلى أماكن قسية مجهولة... وفي اللحظة التي عاودت فيها المياه الزبدية باقتحام الطابق العلوي للقصر القلعة . خرج من البوابة جسد هائل يلقي ظلاً سادراً طويلاً على الرمال البليلة ، توقف الجسد وظله إزاء القصر الأيل للتداعي وهمس.

- إنتهى كل شيء.. تسربت ديدان الفناء في الغضاريف

واستحال كل شيء إلى مجرد رمال وهمية رطبة
ثم أطلق أهة حارقة عبقة بكل الأم الكون وأنشأ ينتحب ، مشى
خطوتين ووقف يتأمل الساحل.. آثار جسد بشري كامل مطبوع على
الرمال يبدو أنثوياً من إتساع الحوض ، أومضت في ذاكرة الظل
ذكرى لذيذة فأطلق ضحكة كالآئين ، وثمة على مقربة من الآثار
جريدة مفروشة بعناية يرتكن فوقها شال نسائي بنفسجي وأوان
بلاستيكية فارغة وأخرى موبوءة بفتات الخبز وقشور الخيار ، وكيس
واق يستعمله الرجال عند الحاجة ، ولباس داخلي يبدو من الثلم
الموزعة في أرجاءه إنه خارج من معركة خاسرة ، وأيضاً أوراق ناشفة
مدعوكة.. وفي اللحظة التي كر فيها المد لأخر مرة ، كان عنيفاً
وأهوج فلطم بقايا القصر - القلعة - بسرفاته الرغوية ، أختفى القصر
في التو ، وأيضاً الأواني والكيس الواقى ونثار الملابس و آثار الجسد
النسائي ، والظل الذي أصدر أنيناً موجعاً طويلاً تناقله الليل إلى
المدينة الساهرة في الجوار.

المعجزة

نقر خفيف على زجاج النافذة جعلني ألتفت بسرعة لألمح وجهها
افتقدته منذ زمن موغر في النأي ، ربما منذ الطفولة ، يتسم الوجه
ثم تعبر ملامحه مستطيل الزجاج ، وحين يختفي يترك فراغاً أسوداً
شاسعاً ، عيناى مصوبتان كفوهة مسدس إلى النقطة التي ظهر منها
الوجه تحاولان بلجاجة اغتيال الفراغ المخيم وفي داخلي أتوسل
الوجه أن يعاود المجيء ، تنطرح الظلمة جانباً تاركة الوجه الأنيس
يعاود ظهوره المثير ويحتل النافذة ، يتسم الوجه الأليف وتهمس
شفتاه الورديتان الشفافتان.

- أنا راحل..

تمتد كفٌ لدنة بأصابع ناصلة.

- تعال..!

أنهض من الكرسي ، أمشي على السجاد بقدمي الحافيتين ،
أمدّ كفي محاولاً إمساك الأصابع الناصلة ، تلتحم الكفان ثم أنسل
من النافذة الى ليل المدينة ، ولا أدري كيف وجدت نفسي ممسكاً

بمقبض النافذة وأنا أنظر مذهولاً نحو ساقِي الواقفتين كنخلتين ، وفي
داخلي ينبثق سؤال خرافي.
- كيف حصل هذا...؟ كيف سرت الحياة في ساقِي المشلولين
منذ الولادة...؟

مربع ضوء

نافذة مفتوحة تطل على غرفة صغيرة تجعل حزم الشمس تنسل
منها نحو الفضاء على هيئة مربع ضوئي يشمل جانباً من السرير
الحديدي الصديء وساعة قديمة تغفو فوق منضدة متآكلة يرتكن
على سطحها الخشبي المثلوم في بضع جهات رسغا المرأة التي
يشتعل شعرها ثلجاً ابيض ، عدّلت من وضع النظارات على أرنبه
أنفها الأقبى ثم وضعت المغزل بجانب الساعة الخرساء ، إلتفتت
جانباً وهتفت حانقة..

- قلت لك كفاك بكاء.

عاودت تغزل خيوطها الصفراء الحائلة ، كانت تفعل ذلك بملل
وأماثر الضجر تبدو جلية على جبينها المحرز ، تأففت بصوت
مسموع وزعقت.

- لقد صدعت دماغي ، قلت لك كفى..

نظرت نحو عقارب الساعة المشلولة ثم عاودت الغزل ، وبعد قليل
رفعت نظارتها ووضعتها على المنضدة بعصبية ، إعتدلت في جلستها
ورفست الطفلة بما أوتيت من قوة وحقد ، فارتطم الجسد الغض

بالحائط وتدحرج مستقراً داخل مربع الضوء على بلاط الغرفة ،
همست المرأة بارتياح.

- الآن أستطيع أن أغزل بهدوء.

ثم القت نظرة أخيرة جامدة على مربع الضوء حيث كانت ترقد
دمية على هيئة طفلة ترتدي غلالة صوفية صفراء.

النجوم

ومض ناري إنتشر من الفوهة وأضاء الماسورة ووجه كلبة توزّع
نظراتها الراحبة الذاهلة بين وجه الرجل وأجساد جرائها الخمسة
الصغيرة ، كان رشاش الدم ينبثق كالشلال من بين أذنيها ويسيل
متخذاً مساره المتعرج بين العينين ، وقبل أن يندلق من مقدمة البوز
يقتحم الفم المفتوح ، كانت الكلبة قد أكملت إعداد أمتعتها في
طريقها إلى بدء الرحلة الأبديّة ، تملت وجه الرجل الذاهل ثم
زحفت على بطنها حتى أدركت الرجل الجاثي على ركبتيه ،
نظرت إليه بتوسل وصرخت بكل ما تبقى لها من نبض..

- أرجوك... لا تقتل أولادي.

إلتفتت إلى أبنائها الذين كانوا ينغمون بلحن جنائزي ثم...
سافرت إلى النجوم.

الصديق السرمدي

خطا والهالة الربانية تسبقه نحو عمق الحجرة حيث أتمدد في فراش تحدد خارطة جسدي الكليل أجساد ممغنطة تحدد بنظرات فاجعة ، أبتسم إذ أبصر صديقي السرمدي ، ثم أرمق الوجوه الحزينة المطلة عليّ وأعاود النظر في وجه صديقي الذي نبر بصوت عميق أسر.

- إنتهيت...؟

- تقريباً.

- العربة في الإنتظار.

فكرت في إشاعة جو من المرح على الفضاء المलगوم بالصمت فحكيت للوجوه إحدى نكاتي اللاذعة غرقوا على إثرها في نشيج من ضحك معبأ بالأنين ، إنتهزت الفرصة فتسللت من فراشي ، تأبطت عضد رفيقي وخرجنا ، استقللنا العربة الأزلية وارتحلنا إلى مدينة الضياء الأول.

الإحتفال

ظهر فجأة أمام الباب ، بكفه اليمنى أمسك بالمقبض الحديدي ثم تركه يسقط ليرتطم بالقرص الفولاذي وانتظر ، إنفتح الباب الخشبي الشاهق وأطل منه وجه أنثوي أليف ، عانقه طويلاً ثم أنسل نحو الصالة ، إرتمى على الأريكة يتملى الأنثى المثيرة ، نهض بغتة وأحاط الخصر الضامر اللدن وراقصه.. صار بين ذراعيه حمامة وديعة ، شم رائحة مخدرة أسفل الإبطين ، هام في هيوولي آخاذ ، أجلسها على الأريكة ، مص رحيق الشفتين التنويريتين ، ومن ثم اتجه كالممسوس نحو المدفأة الحجرية المطمورة في الجدار الرخامي وألقمها غصيناً صغيراً لشجيرة بلوط ، فتح ظلقة النافذة ونظر سفتح الجبل والثلج الناث بغزارة فوق المدينة الصغيرة اللائطة بخوف طفولي ، أدار آلة التسجيل فانطلق الطبل يجلد فضاء الصالة ، طوق بذراعه اليسرى أسفل ظهره ، إلتقط منديلاً أبيض من جيب بنطاله وجعل ذراعه اليمنى تتخذ زاوية قائمة مع بلاط الصالة ثم دق الأرض بقدميه ، دار حول نفسه وحلق ثلاثاً ثم استدار مواجهاً الأنثى الذاهلة ورفس الأرض بقوة هائلة فانطلق بقفزة عالية واختفى تاركاً فضاءً يعج برائحة فحولة حريفة.

الزوبعة

دأبها ككل ليلة تطفئ المصباح فيصعد فضاء الحجره ظلام
صائل إلا من ضوء أحمر ينير اللوحة المعلقة على الحائط... تتلمس
طريقها بأصابع يديها وتمدد على السرير الحديدي القديم ، تعقد
ذراعيها تحت رقبتها وتتملى اللوحة بعمق مستحضرة حلم كل
ليلة... الوجه القمحي الأدكن والجسد المشدود الذي تعلقه ذكورية
جحيمية. تبسم للوجه الفحل الآتي عبر زمهرير الليالي الموحشة
وتنام محتوية تفاصيل اللوحة... سفينة تيمس كعروس مستحبة تنقل
خطواتها الخجلى فوق بحر كالمراة الصقيلة والنوارس تصيء
بأصوات كالزغاريد وتخلق فوق صواربها ، يفتح الباب ، يحتل جسده
الفارع خصاص الباب الموارب ، يغلقه.. يمشي على رؤوس الأصابع
ثم يمتد لصقها ، يحتضنها بين ذراعيه ويتداخل الجسدان في حمى
ريح هوجاء ، وسحب رصاصية وبحر مثل اخطبوط هائج يعصر
بأذرع هيكل السفينة المنقادة إلى مثواها في أعطاف هذا الفحيح
الضاري ، يصير الكائنان بنياناً واحداً ممدداً على ظهره تقتحم صدره

الناهد أنفاس مبهورة وترعد في أوصاله تيارات متعاقبة من رعشة
سريعة ، وتدرجياً ترسو السفينة على الساحل الرملي بعد أن يقذفها
البحر وتخلد إلى نوم عميق.

العشاء

إنتصب أمامي مارداً أسود ، قلت له.

- تأخرت كثيراً.

ألقى جسده الوسنان في جوف الزورق ، أغمض عينيه واستجدي
شهيقاً عميقاً وقال.

- عاندتني كثيراً ريثما انقادت أخيراً.

وألقى نظرة قصيرة نحو السمكة المحززة بطعنات سكيبي المدربة
وقال.

- سأجذف ريثما تنتهي من إعدادها.

ثم همس.

- ربما ستلتقنا سفينة أو طائفة.

وبعد أن إنتهينا من تناول العشاء حدقنا معاً عبر الليل الساجي
نحو الأفق البعيد المرفوع على أكتاف المحيط ، وتمنينا معاً ، أن يكون
الفجر القادم أفضل مما مضى ، واتجهنا ، كل إلى زوايته في الزورق ،
ونمنا.

تداعيات

في عمق المرأة الدائرية أبصرت وجهاً حفر الزمن مطباته فيه تاركاً ملامح تراهن السنين على يفاعته حاسبة الوهم حقيقة مطلقة ، تأوّهت بألم وهي تتأمل الغرفة من خلال المرأة ، السرير الخشبي القديم ، والمكتبة التي أكلها الغبار ومنضدة خشبية فوقها صورة نابعة من ثرى سنين تجاري الندى في طراوتها ، وإذ لحت العينين الطفلتين في الصورة ، تسربت من شفيتها القاحلتين أهة أسى عميقة ، وفي المرأة تجمعت الصورة على شكل جسد هرم يغمره الظلام المحلولك المهمين على فضاء حجرة موبوءة بأسراب الدود الذي حط على شكل مجموعات على جسدها مهيباً نفسه لوليمة نفيسة تاركاً كل شيء ما عداها إلى كيان لا وجود مادي له ، عادت ونظرت نحو عمق المرأة الدائرية ، وأبصرت وجهاً جسدياً يحدق بعينين مرميتين في شريط غير مرئي يعرض أحداثاً ربما قد لا تحدث أو لم يكن لها وجود أصلاً.

إنشائات

قد تكون حجرة أو كهفاً أو معبد ، لكنها على أية حال شكل مربع مرتفع كقلعة أو فنار ، في زاويته الأولى تلفاز في شاشته بحر تسقط فوقه شمس راحلة نحو الاقح الغربي وعلى الساحل الرملي رجل وإمرأة يفترقان نحو اتجاهين متعاكسين.

وفي الثانية مذياع تنسل منه موسيقى ناي حزين تهرب نحو أعماق غابات الصنوبر الجرداء ، وفي الثالثة جهاز تسجيل يكتوي بضجيج شاعر متصابي يخير فاتنة غجربة بين الموت على صدره الهرم أو فوق دفاتر اشعاره العتيقة الباردة ، فيما تقف في الزاوية الرابعة مرآة مستطيلة كبيرة أمامها فاتنة بابلية تتملى جسدها الثلجي الرمري العاري ، ومن الحلمتين الورديتين المخضلتين تتوالد فراشات بيضاء تحلق نحو المصباح الحليبي المتدلي من سقف المعبد أو الكهف أو الحجرة بسلسلة فضية ثم تختفي ذائبة في عاصفة من الضياء.

إستراحة التمثال

حرر يديه ، رفعها إلى أنفه وحك الأرنبة ، جال عينيه في الأرجاء ، الكل في حالة نوم.. الأشجار ، المصابيح ، العمارات ، والنهر... رفع قدميه ثم قفز في الهواء ، نفخ الغبار عن بنتاله الرصاصي وقف إزاء القاعدة المرمرية ، كَمَحَ على المرمر صورة رجل ساهم العينين ينظر إلى البعيد بعينين غائرتين حالمتين.

ثم نزل درجات القاعدة وابتلعتة الحديقة الندية ، تمشى على المرمر الترابي الندي ، كان الليل ، رديفه الحجب ، يقبض على المدينة بأسرها بقبضة من فولاذ ، عبر الشارع نحو الرصيف المقابل واحتواه بار فارغ تأتلق الأضواء على واجهته نجوماً مضيئة قصية في خلاء موحش ، طلب قدحاً من البيرة ، ثم اثنين ، ثم أربعة. دفع الحساب ، واحتواه الرصيف المبرقش ، خطا نحو الحديقة وصعد الدرجات نحو القاعدة المرمرية البيضاء ، وقف لصق الصورة ، وضع إبهامه الحليدي على هامة الرجل الساهم ، ضحك ، صخب ، ألقى بجسده المتصالب . بفعل الوقوف الأزلي الأرعن . على العشب ، إستاف رائحة الكلوروفيل والندى والليل الحميم ، نهض وخطا نحو النهر ، خلع ثيابه الرصاصية ، ثم قفز نحو موجات النهر الحالم واختفى.

أمنية

هباء ، تذهب محاولاته المتواصلة للنسيان ، إذ تهرع أنشاه إليه
حالما ترتديه عتمة غرفته الفريدة ، تعانقه.. تلم شعرها المنسدل على
كتفها اللدنيين العارين ، تقاسمه شهيقها وزفيرها الدافئ ، ثم
تنفلت نحو منتصف الغرفة حيث تتقرفص مائدة طعام مسورة
بكرسيين مجدولين من خوص النخيل ، على المنضدة شمعدان
معدني على هيئة صليب في قمته تزهو شمعة حمراء بنار صفراء
ذهبية ، تمشي نحو الستائر الزرقاء المسدلة وتزيحها جانباً برفق أنثوي
رائق لكي تدعو القمر للدخول. يخلع ملابسه ثم يتمدد على سريره
ويحرق في جسدها الرخص وهو يشع أنوثة مثيرة ، وحين تنتهي من
إعداد العشاء تلتفت إليه وتبتسم... يجلس قبالتها على أحد الكراسي
ويبدأ بتناول الطعام ، هباء... ، هو وحده حسب ، يأكل طعاماً بارداً
إزاء مقعد فارغ.

ينهض متجهاً نحو السرير ثم... وككل ليلة يستلقي تاركاً مجالاً
واسعاً لكائن أليف غادر شهيقه وزفيره منذ زمن ، لعله يرتحل عائداً.

وجبة فطور

تسلل كديده كل فجر إلى المطبخ ، فتح الثلاجة وأخرج علبة الجبن الأبيض وصحن الحساء ووضعهما على منضدة الطعام بجانب الخبز المحمص الساخن ، ربط الصداري على رقبته ثم ثبت طرفيها على جنبيه وأنشأ يتناول فطوره ، دخلت الطاهية بعد حين وأنشأت تتأمله ككل فجر مبتسمة.. فكر مع نفسه ، ستقول هذه العجوز الطيبة كالعادة. ان الطفلة النزقة ذات الحولين لم تقلع بعد عن عاداتها بوضع (بابا نوئيل) عقب كل ليلة على هذه الهيئة محاولة بكل ما تملك من حدس انثوي ببغائي تقليدها.

صرّة

يخطو بتثاقل حاملاً صرة تحوي: ليلاً أدكن ، برداً ثاوياً ، جوعاً مفرياً ، ومطراً مزناً.. يطالع جدارية تمثل شخصاً وطيوراً وافراس لا تعني له شيئاً ، ثم يحول وجهه مجيلاً عينيه في الأرجاء حيث الدكاكين والمحلات المقفلة والأرصفة المشحونة بالصمت ، نزل الدرجات الأسمنتية ثم قبع لصق صف متراص من شجيرات الآس ، فتح الصرة ثم نفض: الليل الأدكن ، البرد الثاوي ، الجوع المفري ، والمطر.. تلفّع بالأول ، تعشّى بالثاني ، تشبّع بالثالث ، واتخذ من الرابع ملاذاً.

في ركن قصي من المتنزه حرّك الرجل المصلوب منذ الأزل على قاعدة فولاذية ، قدمه اليمنى ثم الأخرى وترجل من البرج ومشى نحوه ، ينحني عليه ، يحمله ويمشي به عبر أرجاء المتنزه المسور بورود الربيع المبكر إلى أصقاع بعيدة ، ثم بعد دهر من الزمان وبعد أن ينتهي الطواف يعود به إلى شجيرات الآس بعد أن يمنحه صرة تحوي: ناراً ، ماء ، طيناً ، وهواء.

الطائر

أنَّ الباب الخشبي القديم بتوجع ثم تجشأ بصوت أحن وانزاح ،
زاحفًا نحو الداخل ، سبقته الشمس في الولوغ وألقت خطواتها اليافعة
في الفضاء المعرَّش بهواء زئبقي مليء برائحة الزمن التليد
الراسب ، خطا صوب الصرة المعلقة بالجدار الكلسي المبرقش بالمرمر
الأخضر ، أنزلها وأخرج من رحمها كتاباً قديماً مذهباً ، وجلس على
دكة صلصالية وفتح إحدى صفحاته. أنشأ يترنم طلاسمه بنبرة
عميقة هادئة ، وبعد حين اختض جسده العاري بعنف ، تشنجت
عضلات بطنه ثم أغمض مآقيه وصار الزبد يتطاير من شذقيه ،
كَّتف يديه على صدره ، ثم أفردهما على سعتيهما ، وأنزلهما على
جنبه ، أعاد الكرة أسرع ، تشربَّ الفضاء ببرودة الهواء الزئبقي
المتحرك ، ورويداً ورويداً ، حلَّق في فضاء الحجرية الحجرية كطائر
عربي أسطوري.

الفناء

الصفصاف الغافي على الشاطيء الصلصالي ، واليمام النائم فوق..
على الأغصان العالية لأشجار الطرفاء والنخيل ، والسماك الملتحف
بالرمل والظلام ودفء القاع ، والقمر السكران في السماء ، والموجبات
المرتحلة نحو فجاج الأرض القصية ، وأنفاس المرأة التي تنتظر من
يدفئ الفراش المقرور والآلاف الأخرى من الحيوانات المتدفقة صارت
كلها أذاناً وحواس وترقب ، أسيرة الزورق المنزلق وسط الموجبات
والنغمة المفعمة بالشجن والرغبة المنبثة من الفم المتيبس المستأسد
على المجذافين فتسللت الحياة والتدفق والدفء في الصفصاف واليمام
والسماك والقمر والموجبات والمرأة...

تكوين

جبال تناطح الفضاء المتفحم ، تلال فيروزية أشبه بأثداء مرضع ،
صخور وردية حبلى بالمرمر والفولاذ والذهب ، سهوب شاسعة
تهيمن على الجزء الأدنى من المدى المتراخي ، بروزات صوانية
أشبه ببيوتات ومعابد متفردة تنفرش على أخاديد الوديان المتوسطة
العمق والعميقة جداً والتي لا عمق محدد لها كأبواب الجحيم...
في الجزء القصي سحب مصلوبة منذ بدء التكوين يرتديها هواء
راكد له طعم خمرة في قعر دن عتيق نساء الخمار او النادل الشارب
فتصالب طبقات تتوسد طبقات متخذاً الواناً مختلفة هي
انعكاسات الجبال والسهوب والوديان وقباب المعابد وأحديديات
الأسطح. عالم أسطوري تحول إلى واقع ، أو واقع أسطوره الزمن
الموغل في القدم ، عالم بتفاصيل جهمة لا تجد فيه شمساً أو قمرأ
أو نجماً ، لا طيراً ، او دابة ، أو ابن آدم ، لا ماء ، أو عشباً ، أو تراباً
ندياً.. وحشي ، ومتفرد ، وخال من العاطفة والدفق والأنفاس هو هذا
العالم اللابد في لب الحصاة التي انشطرت قبل هنيهات في راحتي
كفي.

معقول

من الممكن جداً أن تلقي شخصاً ما على قارعة الطريق واضحاً يديه في جيبه ، ونظره مركز وعمق على...لا... شيء ، أو أن تجد زورقاً ملازماً شاطيء ما في نفس الوقت ولأيام متعددة ، أو ان تجد عقباناً تحوم حول قمة جبل متلفع بالثلج ، كل هذا معقول جداً ، ولكن الذي هو غير معقول أن يتعسر عليك أن تحزر من هو الأسبق: عمود الهاتف الصديء المتفرد وسط الأشواك وشواهد القبور ، أم ذلك الكيان الأدمي الأشوه الواقف ، المسمر كشاهدة قبر ، وعيناه تستكتهان الصنخب المزدهم في حنايا أسلاك الهاتف الصافرة.

الرحلة

من لهفتها لم تعد تعي كم مرة نظر اليها ، استحضرت في ذهنها الساعات العديدة المليئة بالمرارة واناملها الناصلة تبحث في طيات الجلد المتغضن المسود الذي يتوطن الوجنة اليسرى والذي يضفي عى وجهها سمات دمية تقشر وجهها البلاستيكي ، أحست بسحر العينين العسليتين وهما تتسلقان تفاصيل وجهها بدهشة وغبطة طفولية ساحرة ، إعتدت في جلستها وانسلخت عن الحشد الأنثوي الحريف الذي يطوقها وارتحلت في أديم مشهد يتشكل في ذاكرتها على هيئة قارب يختر عباب نهر مصطنع ، وهي في مكانها الفريد في المقدمة تتملى عضلات ساعديه السمراوين وهما يدفعان المدافين عميقاً في لجة النهر والعينان الذكورتان تسلقان وجهها بوله... إصطلى فضاء الصالة بالقصف المتولد من الآلات الموسيقية فألقت نظرة عجلى حائرة على مكانه ، إبتسمت في داخلها إذ وجدته على نفس الوقفة ونفس النظرة الساحرة ، إرتسمت بسمة جذلى على محياها وتلملت الخلايا الميتة في

أعطاف الوجنة المشدودة ، أرخت طرفها حياءً وفكرت.. قد..؟ هل..؟
أه..؟! إقترب منها بخطى وثيدة واثقة ، صار أمامها تماماً ، نهضت بغتة
وعبرت الأجساد المسوسة بفيروس الموسيقى المجنونة ومشت نحو
الشرفة ، أبصرت على حافتها أصص زهر فيه زهرتان: الأولى نضرة ،
والأخرى نافقة ، تناولها إحساسان متناقضان... هجست الخطى
الرياضية خلفها فاستدارات على عقبيها واصطدمت بالنظرة
الساحرة ، وهمس موسق.

- وجدتها

طأطأت رأسها فمد أنامله ولمس الخد المتخشب المتقشر وواصل
تحديقه الذاهل وهمس ثانية بصوت عميق أسر.

- هائل..!

وبعد أن عاد إلى هدوئه قال.

- إنني طبيب جراح ، وقد وجدت في خدك حالة نادرة ، ومن
الممكن جداً أن أغامر بكل شيء وأعيد اليه الحياة.

الحنايا

الرواق يسبح في فضاء بلوري ، المذبح يربض بصمت مهيب في
الجهة الشمالية والأيقونة تطل على المنضدة المرمية تعطي للفضاء
خشوعه وسطوته... وحدي تحت الثريات العملاقة أتملى الصور المصلوبة
على الجدران الرطبة الكلسية ، ألمح كرسياً في الزاوية القصية المعتمة ،
وإزاء أقدامه الصدئة في التقاطع تماماً بين الحائطين شاهدة رخامية مربعة
صغيرة بحروف آرامية بارزة أحالها الزمن إلى مجرد شرائط شاحبة..
وضعت نظراتي الطيبة فوق حافظة أوراقى على الأرض وأنشأت أتأمل
الكتابة محاولاً فك طلاسمها ، همست لنفسي.

- قبر من هذا...؟

كجمجمة قصف سماوي ، أو كعزف عالي لآلة موسيقية
سمعت الصوت.

- إنه لي.

شملت الأرجاء بنظرة تطلع خائفة ، سمعت الصوت ثانية وبنبرة
أعمق.

- لا تبحث في الخارج ، إنني هنا في الداخل.
لأول مرة أعتق لساني من اصفاده.

- أين..؟

جاءني الصوت قريباً جداً.

- أنظر فقط إلى الداخل.

ونظرت إلى ... الداخل ، شملني العالم الجديد بخناياه الدافئة
وجلست في مكمني الالق أنطلع إلى الساعورالذي فتح الباب ودخل
يبحث عني بدهشة وذهول ، ثم تسمرت عيناه على حافظة أوراق
فوقها نظارة طبية ، وجوارهما نعلان ويقايا أنفاس...

صفاء

وهو يسابق الخرائط المنداحة على السقف الراكض نحو الخلف.
وهو يحس بالطعم الحريف للشراشف البيضاء التي تكبله من
أخمص قدميه حتى رأسه الخليق.

وهو يعانق الدمع المتحدر من مقلتي أمه وجسده يتجنذر في
السدية المهرولة نحو الباب الموارب الذي تعلوه كتابة حمراء تعلن
عن (عمل - يعمل - عمل - عمليات).

وهو يتصور هذا الرأس بعد قليل ساحة تشق أديمه المباحض
والمشارط.

وهو يتصور الرحلة العصبية نحو عالم (البافليون والنشادر
والتروجين) والعرق المتفصد من الجباه المحززة بالذهول والترقب
والتوجس.

وهو يرمقهم يشكّلون سقفاً من وجوه شمعية تعينه بعيون لا
تطرف والكتاب لا يزال في يده مفتوح على صفحة لم تتم.
وهو في هذا الوضع الطارئ في رحلته نحو الأضواء الساطعة

والشاشات الملونة والدوارق والكمادات كان السؤال يكبر في رأسه
المهياً للصولة ويتكاسح نحو السقف الحلبي والواجهة الزجاجية
البيضاء والممرات الكثيبة الرمادية.

- ترى هل سيصل (كيرسيك)^(٤). بزورقه التائه نتوء الكلب
الأبلق.

ثم يهمس لنفسه والموجة اللذيذة تحمله إلى العالم الجديد.
- بالتأكيد سيصل.

(٤) كيرسيك: بطل رواية (الكلب الأبلق الراكض على حافة البحر) للروائي
جنكيز ايتماتوف.

القاص

- الأول: يقرأ آخر قصة كتبها بحماس.
- الثاني: (بعد أن يرتشف من كأسه) يقاطعه.
- لازلت عند رأيي.
- الأول: (يتوقف عن القراءة) ويقول.
- وأنا لازلت عند رأيي.
- الثاني: (يلقي من فمه الأرد حبة زيتون) يقول بشراسة.
- سرطان.. هذا المقطع مثل السرطان... سيغتال القصة.
- الأول: (ينظر اليه لبرهة يلتقط كأسه ويفرغه دفعة واحدة ، تدمع عيناه) ، ثم يقول بعناد بغل.
- لو شطبت هذا المقطع لحكمت على القصة بالموت.
- الثاني: (يعتدل في جلسته ، يتورد خداه ، ترتجف شفثاه) ثم ينبر بجدة.
- ولكنها قصة ميتة والحال هذه.
- الأول: (تتشرب حواسه بالجملة) فيقول بهدوء مفتعل.

- إنك لا تفهم في القصة القصيرة.
 - الثاني: (يقفز من مكانه كمن مسّه تيار كهربى) يصرخ.
 - وأنت قاص فاشل.
 - الأول: (تتراقص أعصابه كلها) يقول.
 - وأنت قارئ ساذج.
- يتشابكان بالأيدى ، تصير القصة مزقاً تطير فتاتها فوق المائدة ،
يتجول بطل القصة في تفاصيل المائدة بحثاً عن ملاذ ثم يهدأ كل
شيء ، فيبكي الأول بلوعة من نُكب بابنه ، ويصمت الثاني مشاركاً
الأول مصابه الجلل ،... يتعانقان وينهمر السيل.

الشاعر

لحوا في...

- عينه: بجرأً من الكلمات.

- يديه: ارتعاصاً متناغماً.

- كتفه: كيساً يحوي كنزاً نفيساً.

تلاقت العيون: الزرق والعسلية والزيتونية والسود ، واتفقت السواعد: السمر والحنطية والبيض والسود ، وتضامنت الأدمغة: الذكية والبليدة والشريرة واللابالية... على هدف متفق عليه وغير معلن.

- لنلقه في البحر ونغنم الكيس

عيناه استكنتها الاتفاق السري فانتبذ مقدمة السفينة ونظر إلى الشراع والمجاديف والسحن ومن ثم وببطء قاتل أنزل الكيس وأخرج قيثاره وبدأ ينشد اشعاره ، وكانت الكلمات المشبوبة بالوجد والنداء والضراعة تسافر عبر الموج والأثير ، أحاطت الدلافين ، أصدقاء الشعراء بالسفينة فألقى بنفسه على ظهر إحداها ولوح بقيثارته مودعاً.

تجادد

صمّاء باردة هي الأحجار التي تراها العيون الرمضاء ، وقاسية هي
الجبال التي تتسلقها الأبدان المكدودة ، ومن رصاص هي سفعات
الريح التي تجيب الوجوه الشمعية ، ونبوءات رملية متجالدة هي
البيوتات التي ينبغي للقمامات أن تلوط أفياءها ، ودبقة هي عباءة
الغروب التي تتسرل أذيالها القافلة الصافنة التي تتحرك وفق نغمة
كأداء رتيبة لا تني تنفصم عن اسارها الحثيث: وجوه تحمل نعوشاً
تستلقي في أجوافها اجساد هي صدى للملامح التي تنوء بحملها ،
وفي مفترق الطرق ، أو بتعبير أدق ، عند ملتقى الطرق ، نحو العالم
الذي يكلل الأنفاس والملامح ، ونيسم القافلة يتحول كل شيء الى
هالة ذات بريق أصفر.

الحرقدة

بأصابعه المتخشبة يتلمس جلدة الليل ، البيوت كتل لحمية صمء.. يجد حاوية أوساخ ، يجلس ملصقاً ظهره عليها ، يبحث عن القمر ، أنيسه المحب ، لا يجده..

- ربما بسبب الجوع أيضاً..

يمد أصابعه إلى بطنه.

- قد يكون حظه أوفر.

يعصر أحشاءه..

- خواء.

ينهض على قدميه ، يقلب أحشاء الحاوية ، يفرغ بتوذة وهدوء ذخائرها ، يجد عظمة طرية ، يمسكها بكفيه بجميمية ، يقربها من فكيه هاماً معالجتها ، تحززه العشرات من النجوم المومضة: زرقاء ، صفراء ، عسلية.. وهريير خافت عدائي ، يهش بالعظمة ، بيد أن النجوم تتواضع مقتربة ، يلمح أبدانها.

- ياه.. كم هي ناحلة.

يهجم عليه أضخمهم محاولاً سلب حقه في لقمته ، يضربه على
هامته فيموء من الألم ، ويهّر من الغضب ، ثم يصرخ بوجه الليل
السادر ، بمواء طويل يصطلي بالغضب ، فتشق أديم جسده الناحل
العشرات من المخالب الحادة ، يصير جسده منخلاً ينز منه سائل
أخضر ، وقبل أن تغيب الرؤى من عينيه يعاين الوميض الناري للهر
الجريح الذي انشب مخالبه في الحرقدة.

الإنفلات

ياعجب ما عاينت.

رجل مربوط بجذع شجرة جرداء ، بعينين مغماتين ، عضل ،
أسمر ، ملتح ، يسورّ عنقه العتلاء بأنشطة ويدور حول محور
الجذع ، وبين الفينة والفينة ، يتوقف ، يحني جذعه ، يتقرفص يتمعن
في الدائرة التي رسمتها خطاه المتناسلة الوحشية ، يريد وجهه ،
ينهض ، ويدور في محيط الدائرة بهمة فائرة ، وبعد دورتين أو
ثلاث ، يكرر ، يحني.. يتقرفص ، يتمعن.. يدور ، يصرخ بجنون...

- حتّام.. ايتها النقطة المنفلتة.

وتدور:

النهارات ، الليالي ، الحبال ، الأعصاب.

وتتهراً:

النهارات ، الليالي ، الحبال ، الأعصاب.

و...:

ينخر الجذع.. تبيّض اللحية ، يضمّر العضل ، تتواهن الأنفاس

ووجيب العامل بلا كلال بين الضلوع...والصرخة تستحيل حشجة
واهنة ، فقط العينان وامضتان ، والنبرة متماسكة جهورة.

- اني واجدك حتماً ، ايتها النقطة... المنفلتة.

و.....

يا عجب ما سأعين!.

القصيدُ

دوى التصفيق ، تصفيق صميمي ينبث من الأعماق ، الأكف لا
تني تتصالب ثم تتطابق كالصنوج ، يسمع.

- يا للروعة..!

ثم يلمح عبر عينيه المترنختين جسداً يتفرد من الحشد.

- أعد..

مادت الأرض تحت قدميه الأرجوحتين ، تجشأ رائحة الثوم
والباقلاء والراح البعشيقي ، رأسه يتراقص كعقارب الساعة ، وأنامله
بالكاد تمسكن حافتي الورقة والمقاطع الشعرية خيوط معكرونة
محروقة ، تتشابك ، تنفك ، تتعانق مع بعضها بضوضاء وفوضى ،
فتح فاه ، نطق..

- عيناى.. رأسى ، جوفى ، حلقي..

وتقياً القصيدة دفقات دفقات..

- يا للروعة...!

- أعد...!!

المهد

لم يكن ذلك الكهل الستيني يصنع شيئاً سوى المهود ، كل أطفال وفتيات القرية ناموا فوق المهود التي ابتكرتها أنامل هذا الشيخ الذي مذ فتحت عينيّ وجدته على هيئته السرمدية تلك: صاية نظيفة بيضاء ، دوماً بيضاء ، وقبعة غريبة الشكل ، ولحية مضمخة بالحناء ، ببدن قوي ، عضلاته نافرة... بيد أن تلك الظهيرة كانت غير عادية في قريتنا اللابدة تحت كتف تل أثري حين رأينا نجار القرية الأبدي يشكل من تلك الخشبة الطويلة هيكل مهد كبير يسع قامة رجل في الثلاثين... سرى الخبر في القرية ببيوتها الحجرية البيضاء كالنيزك ، وحين سأله شيوخ القرية قائلين:

- فيم الحكمة بهذا يا حكيم؟

أكتفى بتمسيد لحيته المحناة ثم نظر إلى السماء الصاحية وابتسم.

& & &

دار كبيرة مشيدة من حجر ابيض قد من جبل ، بوابة هائلة صنعتها أنامله الفنانة ، تحتزمها مسامير حديدية ذات رؤوس مثلثة

ومربعة ودائرية تشكل في إلتماعها الأخاذ زخارف غريبة.. غرف
بشبايك من خشب البلوط تطل على زقاق القرية الرئيسي
الرحيب ، وحين تنفتح البوابة على مصراعيها فجر كل يوم نجد
الحكيم ببنته المميزة يضع اللمسات الأخيرة لذلك المهده العملاق.

& & &

لليوم الثالث لم تفتح البوابة ، إنتاب القلق رجال القرية وشبابها ،
هواءها وماءها ، إن القرية فعل ناقص بدون ركيزة أساسية تشكل
البنيان المستقيم ، والركيزة مختفية لليوم الثالث على التوالي خلف
هذه البوابة التي لا تحوى بشراً سوى هذا الشيخ ، تجراً الشباب وأنا
منهم واقتحموا حصن البيت تبعهم الشيوخ والرجال والنساء
والأطفال ، صار البيت ديراً أو مزاراً.

& & &

مهد كبير يتوسط حديقة القصر المتصوغة بأريج البيبون والأس
وأزهار البرتقال ، يرقد في جوفه شيخ جليل قمط بملاءة بيضاء.

برومثيوس

والمستحيل في أخيلة هذا الأدمي الجنب بالليل والمطر والبرد
والخرائب المدفونة في حشايا الأزقة المدقعة ، والمحال في هذا المهرجان
التراجيدي صار ممكناً. فما تبقى له من أمل سوى أن يرقى سفح
الهيولي نحو شعفة الجبل ، ويصرخ.

- برومثيوس ، إنهض أيها المأفون ، عاود الكرة من جديد.
- ثم مدّ ذراعيه الناحلتين المتجدلتين مظلة فوق حاجبيه
- عليّ بالنار.

ويأتي سارق النار ممتطياً سهوة ماعز جبلي أبيض وفي يده النار
المسروقة يترجل ويقبل الأرض بين يديه ويجيبه بالنار ، يتسرب
الدفء كالنيازك في عروقه الخاوية فيهتف سكراناً بالمتعة.

- إنني أحررك أيها الجميل ، يا برومثيوس ، من عبودية
التكرار والرتابة.

ويتكوم الأدمي متقياً الصهد الجليدي المتسرب من أعطاف ليل
المدينة الطويل ، يدفن رأسه بين كتفيه المتسرلين بالأسمال ، يتوسل

برومثيوس باعادة الكرة ، يمتطي برومثيوس ماعزه وينطلق نحو الوادي
بعيداً عن النار ، يفتح الأدمي مأقيه ، يحدّق بذهول في الظلام الجلد
الذي يسوره ، يعصر جبينه باحثاً عن الحلم ويهمس.
- أي حلم..؟

حرم

أعطاني دفترًا صغيراً وقال.

- إنها مخطوطة ، أقرأها... اقرأها حسب.
ثم استطرد.

- وأنا كلي يقين بأنك ستبحث عني حال انهائك قراءتها
وستجدني حتماً.

وغادر المطبعة مثلما دخلها بسرعة البرق ، تطوقه هالة معبئة
بهاجس الغموض.. قلبت الصفحة الأولى إشباعاً لفضول مجاني ،
طالعتني في منتصف الصفحة جملة عريضة (عرس العنادل) ثم
عنوان ثان (مواويل ذاكرة مضيئة) قلت مع نفسي.

- عنوان رومنطريقي.. ومدخل ذكي.

وقلبت التوطئة... ذاكرتي فقط انحصرت فقط في لهاثها بين
قوسين الأول الشمس المتسللة من فناء المطبعة إلى غرفتي المؤتثة
الأنيقة والثاني انعكاس ضوء الغرفة البارق نحو فناء المطبعة ، والفراغ
بين القوسين ، زمن تأكل وأنا منكب أعب هذا الهذيان الغريب

اللذيذ لذاكرة تنضب منها الحياة عبر ثقب أبرة ، وعند آخر سطر
وجدت عنوناً وتحتته عبارة:

(على هذا العنوان تجد نهاية الرواية)

قفزت من مكاني وخرجت ، استقللت سيارتي وصار قلبي
عجلات سيارة تسابق نفسها للوصول إلى العنوان ، وجدت بناية ،
نهبت درجاتها العتيقة نحو السطح ، وهناك في أقصى الزاوية اليمنى
وجدت غرفة بباب موارب ، دفعته وقدمت قدمي اليمنى
ووجدت:.....

.....

صديق العاصفير

إلى متي سعيد

عندما خرج النعش مرفوعاً فوق الأكتاف وتوسط الطريق الترابي
تشكلت في السماء الصاحية غيمة من العاصفير الصامتة وتقدمت
الموكب بأجنحة لا ترف فيما كانت الأكتاف التي تحمل النعش
تسيح بسيل من المطر الهابط من غيمة العاصفير.

زفاف

طار من ظلفة النافذ ، طارت من قفص مفتوح الباب ، إلتقيا في
الغصين العلوي لسنديانة ، نفضا ريشيهما وصارا يفلين نفسيهما ،
وتحت وقدة شمس حزيرانية طارا شاقولياً ، تمازجا عندما صارا في
أعطاف غيمة عابرة ، إلتصق ذناهما الدقيقان المفروشان ، إفترقا ،
صارا فارزتين في أديم متألق ، إلتصقا ، ما افترقا ، إختفيا...

الباب

فتح عينيه ، أزاح اللحاف عن بدنه المخدر ، أدار رتاج الباب ،
إنطلقت الظلمة من غرفته كسجين أُعتقَ تَوّاً وعانقت ضوء الممر...
الطرق يعتقل حواسه كصليل السيوف ، إجتاز صالة الإستقبال ،
وعالج باب البيت مستقبلاً زخات المطر ، تأبط ذراع الغلس واختفى
في شعاب الليل تاركاً باباً مفتوحاً يبكي ذكرى رجل كان...

تقويم

- في السبت: سافر من مدينته نافضاً عن قدميه الغبار.
في الأحد: وصل إلى مدينة جديدة وغبار جديد.
في الإثنين: فتش عن مكان يأوي إليه.
في الثلاثاء: فتش عن عمل.
في الأربعاء: فتش عن قريب له.
في الخميس: فتش عن موطيء لجسده.
في الجمعة: لا يزال يفتش عن نفسه.

المجموعة القصصية الرابعة

التماكبي

دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد

سنة الإصدار ٢٠٠٨

القصة القصيرة جداً... فن الإختزال والتكثيف جاسم عاصي

لا يختلف المرء مع الآخرين ، في كون القصة القصيرة جداً ، هي جنس أدبي يميل إلى الإختزال والتكثيف. ومن هاتين الصفتين يمكننا القول: إنه كفن وكمنتج يخضع للموهبة أساساً ، وبالتالي يساير وينتظم على وفق الخاصية الذاتية للمنتج ، بمعنى أن إنتاج هذا النوع من الأجناس الأدبية يخضع إلى الكيفية التي يتعامل بها كل قاص ، وبالتالي يرتبط هذا بمستوى المعرفة النظرية المحكومة كذلك بالحس الداخلي ، ورؤيا القاص للظواهر ، وللعلاقات التي تنتظمها ، من هذا نرى أن سؤال: على يد من نشأ هذا الجنس..؟ لا يعني شيئاً ، بقدر ما يكون مهماً جداً الكيفية التي سارت عليها حركة ونماء وتطور الجنس على أيدي الكتّاب. فإذا إتفقنا على أن (ناتالي ساروت) في (إنفعالات) ، كان لها السبق في الكتابة ، فإن (نوئيل رسام) ، كانت له نصوص متقدمة نشرها قبل

ظهر قصصها إلى حيز النشر. كما وأن خطوات لاحقة متقدمة ،
خطتها القصة ، حيث أصبح لها منظرون وقراء ومنتجون ، أي لم
يبق الحال على ما هو عليه.

هذه الآراء إعتمدت على حقيقة أزلية تتحكم في تشكّل
الظواهر ، والقائلة.. لما كان الواقع في تغيّر وتحول فلا بد من
تغيّر الأشكال والأنساق بما يتناسب وطبيعة المضامين ومعانيها ، وبما
يساهم في تصعيد حركة الواقع وتطوره ، فكل الفنون والآداب
والأفكار والنظريات أنتجتها الضرورة. والقصة القصيرة جداً ما هي
إلاّ نتاج عقل ، وهذا العقل تعامل مع الواقعة بما يراه مناسباً مع
حركة الواقع وطبيعة صراع أجزائه. لذا فقد إقتضتها الضرورة. ولما
كان هذا ، فينبغي أن نُقيّم المنتج - بفتح التاء - بحسب ما تبذره
الخاصية الذاتية لمنتج النص ، من هذا نرى أن إسهامة القاص
العراقي في هذا الضرب من الكتابة ، كانت كبيرة ، تقف بجدارة مع
نتاج كتاب عرب منهم (محمود شقير ، محمد عيتاني ، زكريا
تامر ، جمال أبو حمدان ، بسمة النسور) على سبيل المثال. كما
وأن تجارب العراقيين كانت على تباين ، سواء في البناء أو
المضامين ، لكنها تصطف مع بعضها لتأصيل هذا الجنس ، ولعل
تجارب لمثل (نؤيل رسام ، خالد حبيب الراوي ، إبراهيم أحمد ،
جليل القيسي ، ناجح المعموري ، حنون مجيد ، حسب الله يحيى ،
أحمد خلف ، هيثم بهنام بردى ، ماجد أسد ، سعدون البيضانبي ،
حمدي مخلف الحديشي ، صلاح زه نكنة ، محمد رشيد ، أسماء

محمد مصطفى) ، هي تجارب ومحاولات جادة لتأصيل وترسيخ أسس جديدة لهذا الفن ، من منطلق الخاصية الذاتية المنوه عنها أعلاه.

والقاص (هيثم بهنام بردى) في معظم مجاميعه القصصية المكرسة لهذا الفن أو في مجموعته (التماهي) ، واحد من منتجي هذا النوع ، وقد حقق فيه عطاء متميزاً ، يتيح المجال للظهور بإستنتاجات تجسد خاصية ما يكتب بسبب الغزارة في الكم والنوع ، فبعض هذه الخصائص يتفق بها مع الآخرين ، لأنها من أساسيات القصة ويحتفظ أحياناً بتفرده فيها ، وكل هذا يصب في الجهد الذي يبذله القاص العراقي لتطوير هذا الفن.

إن إختلاف هذا الجنس - والحديث ضمناً عن تجربة هيثم - لا يشكل قطيعة مع جنس القصة عموماً. فإن حُدّد بعدد الكلمات وطبيعة المضامين والشخصيات ، غير أنه بقي محافظاً على صلته بالقصة ، وفي كونه جنساً سردياً خالصاً ، وبهذا فإنه يتواصل مع جذوره ، ومع وظائفه التي هي ضمن وظيفة القصة ، لذا فالقاص (هيثم بهنام بردى) ، يرى عبر نصه أنه إنما ينطلق من حقيقة خاصة ، ففي الأولى كونه يمارس فعل الإنتاج السردى ، وفي الثانية عليه أن يؤصل خصائص نوع أدبي جديد. أرى أنه يسعى إلى الحفاظ على تقاليد وأساسيات الجنس ، ولا يوقف المحاولة عند هذا الموقع ، بل يؤمن بأن ما يحدثه من متغيرات تخص الجانب الذي يخصب الإبداع ، ودائماً يكون هذا محدداً برؤيته ونظرته لمستجداته

المعرفية وتجاربه في الواقع ، فالقاريء لمجاميعه في هذا الشأن يقف عند خاصيات ذاتية لفنه ثم خاصيات ذاتية لكل مجموعة من القصص ، بما يوحي بإصرار القاص على تطوير رؤيته للجنس ، من هذا نرى أنه يعتقد بإيمان راسخ على أن هذا الجنس من الكتابة بإمكانه مواكبة المتغيرات ، لأنه يمتلك قدرة التكيّف والتطور والمسايرة.

ولعل أهم خصائص نصه هي:

في مجال المكان والزمان ، فإنه يتميز بتحقيق وحدتيهما في النص ، وتأثيرهما على بعض ، وبالتالي التأثير على ما هو خارجهما - المتلقي - . ذلك من خلال إيجاد صلة إنفعالية به أو التوفر على سببية تنتظم داخل النص بهذا الخصوص ، بين الزمان والمكان والشخصية. إذ نجد ثمة علاقة سببية تنتج حالة الإحساس والشعور بما بشكل حافزاً لحالة من الجدل. فالمكان والزمان هنا محفزان يستنهضان دواخل الشخصية ، لكن الذي يبعده عن حالة النأي عن طبيعته كجنس ، يكون في التحكم بوحدتي السرد والوصف. فالمكان يعزز داخل الشخصية بالشفرة أو العلامة ، والقاص يشير إلى الشيء ولا يتدخل في تفاصيله. وهنا يبرز دور اللغة أولاً ، ثم المهوبة التي تتعامل مع جميع أشكال الحتمية في الكتابة ، فلغة (هيثم) مشفرة ، وله في ذلك تجارب كما سنذكر أدناه ، فالقاص بإهتمامه بهذه الوحدات (المكان والزمان والشخصية

واللغة) ، إنما يجمعها في خاصية واحدة تشكل الكيفية التي يعالج بها الواقعة ، وذلك بإعتماده على اللقطة ، وتأكيد صورة المشهد ، فهو كثير العناية بمشهد القصة عبر إشارته ورسمه الخصائص ، وبما يتناسب مع إمكانية تحفيز الشخصية داخل النص من جهة ، والشخصية خارج النص - المتلقي - من جهة أخرى ، وفي هذا المجال نرى أنه يتعامل مع بنية المخيلة السردية تعاملًا شعريًا ، أي يمنحه حراكًا شعريًا ضمن بنية السرد واللغة ، ويعمد لهذا - كما أرى - من أجل تخصيب النص أولاً ، ومنحه خاصية الفرادة ثانياً. إن الإرتقاء بالمشهد الحياتي عبر الفن عند (هيثم) مهمة أساسية ، على الرغم من صعوبتها في هذا الضرب من الكتابة ، إلا أنه وفق بما وفره من خيال بمستوى جيد ، وملفت للنظر. فالإيجاز عنده يقود - كما ذكرنا - إلى التشفير ، وعلاماته هذه تؤكد وظائف تتحقق من داخل النص ، ومنها مساهمة الإشارة في إيقاظ الحواس ووضعها في موضع يسهم في حراك عام داخل النص. كما وأن العلامة هنا تلعب دور الإستفزاز ، لما تحمله من صور وبنى لغوية مندمجة بحالة ذهنية ناقدة تسهم في الإستزادة من الجدل ، ومن ثم الصراع. وهي وظيفة كبيرة للنص. وما نعنيه بالإستفزاز هو إيقاظ القدرات الذاتية للمتلقي ، أو مساندة لرؤيا القاص عبر النص. في إستخدام التشفيرها ، تبرز حالة المحاورة - كما ذكرنا - ، ثم الحث على التساؤل من بعد الشك. سيما في حالة إحتواء النص على رؤيا فلسفية. فالتساؤل ثيمة لازمة تقود إلى عقد مقارنة

وإحتواء وإبراز المفارقة ، سواء كانت في الظواهر أو بنية الشخصية وعلاقتها بالآخر والمنظومة الإجتماعية. ولاشك أن نص (هيثم) يتميز بالبساطة ، خاصة في تركيب اللغة ، فجملته غير معقدة ، تعمل على تكثيف المشهد في بؤرة لامة تتوفر على ما يعنيه المعنى من دلالة ومرمى. فالنص عنده كاشف وناقد. وبلاغة اللغة تحال إلى بلاغة مجسدة لخاصية المشهد المستل من شريحة الواقع. وبهذا يجري التكثيف على منظومة الحدث أو الظاهرة ، ومنها المفارقة والإستفزاز. فالقاص عبر كل هذه الوحدات إنما يحافظ على هوية النص ، كونه نصاً سردياً أولاً ، ثم وظيفته الأساسية كشان الأجناس الأدبية الأخرى ثانياً .

وقد يكتفي القاص وهو بصدد عرض وتجسيد المشهد ، إلى الرسم التشكيلي للنص ، أو من خلال الحوارية أو الفنتازيا ، كما في قصة (الذبيحة). أو إبراز المفارقة في المشهد ، كما في قصة (حوار). كذلك إعطاء دور أكيد للرمز ودلالته ، كما في قصة (تقوض).

في كل هذه القصص أو سواها نتوقف على مبلغ إهتمام القاص وعنايته بنصه ، ثم إيعاده عن الترهل. فهو إن بدا أكثر تجريداً في بعض القصص ، كما في قصة (قاييل وهابيل - شمسان - نيرفانا) ، إلا أنه ظهر على درجة من الإقتصاد وعمق الإختيار للآلية القصصية.

إن مجموعة (التماهي) ، تدل دلالة أكيدة على حرص القاص في تحقيق خطوة جديدة مضافة مقارنة بخطواته عبر مجاميعه الثلاث السابقة. وقد تجسد هذا في إهتمامه بعكس ما هو مثير أكثر لقدرة المتلقي على الجمع من الإشارات والجمل القصيرة ، مساهمة منه لصياغة ما وراء النص. كذلك بالإستزادة من توظيف الأسطورة وإحالتها إلى قناع تعبير آخر يرفد تجربته مع المعرف والموروثات ، والتي تشارك في تفعيل النص والإرتقاء به فنياً ومعرفياً .

أولاً. القصة القصيرة جداً.....

فن صعب جداً.

كثيراً ما أواجه بنفس الإجابة عندما أسأل مشرفاً لصفحة ثقافية في جريدة يومية أو مجلة ثقافية.

- لماذا لا تنشرون قصصاً قصيرة جداً....؟

فتأتي الأجوبة متباينة ، متعددة ، بها من الصحة الشيء الكثير ، وبها من الخطل الشيء النزير...؟

هذه الإجابات تتأتى من خلاصة تجاربهم مع هذا اللون الإبداعي مما يرسل إليهم من نصوص. فقد أكد أحد الأصدقاء ممن يشرفون على الصفحة الثقافية لجريدة يومية ، أنه تلقى عن طريق البريد نصاً يفترض أنه (قصة قصيرة جداً) لقص معروف ومشهور ، وأعطاني النص وقرأته فإذا بي أتفاجأ وأصدم... فهي عبارة عن سطر بثمانية كلمات.

تفاجأت وصدمت لأن القاص صاحب التجربة والطويلة والمهمة في كتابة القصة القصيرة يجهل أبسط الأسس المطلوبة لكتابة القصة

القصيرة جداً ، وهي (الزمان والمكان والحدث). أجهدت نفسي في البحث عن هذه الركائز أو الأسس وأنا أوهم نفسي بإفترض مفاده... قد يكون هذا النص مما يندرج بمصطلح ما بعد الحداثة وقد تكون هذه الأسس متشظية بين ثنايا هذه الكلمات الثماني فلم أجد أي شيء.

فبرز السؤال.

- هل يجهل هذا القاص حقاً أبسط الشروط المطلوبة لكتابة القصة القصيرة جداً...؟

فإذا كان هذا صحيحاً ، فتلك مصيبة قد تحل من خلال إطلاع هذا القاص على كل ما يمت إلى هذا الفن من تنظيرات وبهذا يمكن أن يكتب في المستقبل قصصاً تدفع بهذا النوع من الكتابة الجديدة نحو الأمام.

أما أن يكون القاص تَعَمَد عن دراية ونية غير حسنة قصد الإساءة لهذا الفن - وهو لا يزال في ميعه عمره قياساً إلى شقيقه القصة القصيرة - فالمصيبة أعظم.

فالقصة القصيرة جداً لون أبداعى يندرج تحت مصطلح القصة ، رسخ وجوده عالمياً منذ قرن أو أكثر ، فلماذا يأتي أحدهم ويضرب كل هذا عرض الحائط و(يشخبط) كلمات لا معنى لها سوى وقع جرسها الشعري على الأذن ، أو غموضها المتعمد وينسجها تحت مصطلح (قصة قصيرة جداً) ويأتي سؤال مَلَح.

- هل أن ما يفعله هذا القاص أو ذاك ، يدخل في خانة

تطوّر هذا النوع من الكتابة ؟ وهل يضيف هذا النص الضعيف إلى
سجله الإبداع شيئاً ؟
أنا أحسب أن ما يفعله هؤلاء يسيء إلى إبداعهم وعليهم أن
يتجنبوا مغامرة يعرفون مسبقاً فشلها...
إستناداً إلى ما سبق أتفق مع مسؤولي الصفحات الثقافية في عدم
نشر مثل هذا الكلام تحت مصطلح (قصة قصيرة جداً).

ثانياً، القصة القصيرة جداً بنيان ليس مشيداً على الرمال

من المتعارف عليه عند كل شعوب العالم ، أن كل جديد في مختلف الضروب العلمية والاجتماعية والاقتصادية... الخ ، إن كان اختراعاً أم منهجاً أم مصطلحاً ، أن يستقبلوه في البداية ، عند ولادته بنوع من الحذر والريبة وينظر اليه بتوجس بوصفه شيئاً جديداً قد يقوّض بعض المفاهيم الراسخة والبديهيات الثابتة ، ومع تقادم السنين وإنجلاء كل التفاصيل عن هذا الجديد الوافد يكون لكل حادث حديث ، فإذا لم يكن يمتلك من الأصالة والتجديد ما يؤهله للثبات والرسوخ يتهاوى مثل بنيان مشيد على الرمال عند أول هبة ربح ، أما إذا كان هذا الجديد متسلحاً بكل أعمدة البقاء والديمومة فإنه يجب أن يقبل به كشيء جديد يتمم أعمدة الإبداع في شتى مسارب المعرفة.

والقصة القصيرة جداً كان هذا الوافد قبل قرن وربع تقريباً ، وترعرع ونما وترسّخ ، كونه يحمل كل هذه المواصفات في أعطافه

وحناياه ، فوقف جنباً لجنب مع شقيقه وصنوه القصة القصيرة وسارا معاً يحرثان حقل الإبداع القصصي ليتشرب العالم بالرائع والسرمدي من الفن القصصي ، كل هذا حصل قبل قرن وأكثر ، وهكذا الأمر في الأدب القصصي العربي لا يزال هذا الفن يسير حثيثاً نحو ناصية النضوج والإكمال خصوصاً بعد خوض رموز القصة العربية غمار كتابة هذا الجنس الأدبي وأبدعوا في كتابته مثلما أبدعوا قبلاً في القصة القصيرة والرواية ، فمن منا لا ينحني إحتراماً وتقديراً لهذه الأسماء: يوسف أدريس ، يوسف الشاروني ، توفيق يوسف عواد ، زكريا تامر... هذه الكوكبة وسواهم من المبدعين الكبار كتبوا القصة القصيرة جداً بعد أن صاروا رموزاً للقصة القصيرة والرواية ، وهذا ما يدحض الأدعاءات من بعض النقاد الذين يشيرون: أن الذي يتجه الى كتابة القصة القصيرة جداً يذهب إليها بعد أن يفشل في كتابة القصة القصيرة... والحقيقة هي خلاف ذلك ، فكم من كُتاب القصة القصيرة جداً ، وبعضهم إنخذَّ منهجاً لمسيرته الإبداعية ، كتبوا القصة القصيرة والرواية ، وكانت نصوصهم القصصية والروايات تَبز ما كتبه في القصة القصيرة جداً أن لم يتفوقوا من ناحية التكنيك ، والأمثلة على ذلك كثيرة... ، بينما هناك كتاب كثر في القصة القصيرة الذين لهم تجربتهم البعيدة سقطوا في فخ القصة القصيرة جداً والأمثلة على ذلك كثيرة أيضاً.

ثالثاً، القصة القصيرة جداً

إبحث عنها في العراق

إن فن القصة القصيرة جداً ، لون إبداعى جديد إنبثق في بدايات القرن الفائت ، وعرف عربياً في العراق ومصر ولبنان وسائر البلدان العربية الأخرى في الثلاثينات من القرن نفسه ، وتقدم هذا الفن في بعض البلدان بينما إنحسر في الأخرى ، لم نجد له صدى في في الكثير من البلدان حتى الآن ، ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة تأريخية هذا الفن وأي من البلدان سبق الآخر ، رغم أن المعلومات المتوفرة لدينا تقول أن القاص العراقي نؤيل رسام هو أول من كتب هذا الفن عام ١٩٣٠ م ، وأطلق عليه تسمية (قصة قصيرة جداً) ، هذا ليس موضوع إضاءتنا هذه ، بل أن ما دعاني إلى كتابة هذه السطور مفارقة حدثت لي مؤخراً... أوجزها بما يأتي:

صديق لي سافر قبل مدة إلى بيروت فأوصيته أن يتتبع لي أي كتاب يتحدث عن القصة القصيرة جداً... تنظيراً ونصوصاً ، وسافر صديقي هذا.. وبعد عودته زرتة وسألته عن الموضوع ، قال...

بحث عن مبتغاك في مكتبات عديدة ولكني لم أجد شيئاً ،

ويعد بحث مضمّن أشاروا إلى مكتبة ضخمة لا يرجع من يغيها في مصدر أو كتاب خائباً ، وقالوا.. أكيد ستجد ما تريد. وذهبت ، بحثت في كل رفوفها لم أجد ما أوصيتني به فسألني صاحب المكتبة وقد إكتشف حيرتي.

- عم تبحث؟
- عن كتب تتحدث عن القصة القصيرة جداً.
- أجابني على الفور.
- تفتقد مكتباتنا لمثل هذه المصادر.
- ثم بعد فترة صمت أجاب.
- تجدها في العراق.
- حسبته يمزح وقد إكتشف أنني عراقي فقلت.
- في العراق؟!.
- قال على الفور.
- إذا وجدت أحداً يسافر إلى العراق ، فسيجد حتماً هناك ما تبحث عنه.
- ولماذا بغداد؟ وبيروت عاصمة المطابع؟!
- هذا الفن متطور في العراق ، وقد برع فيه العراقيون كتابةً وتنظيراً.
- وأضاف صديقي:
- شعرت بالفخر والإعتزاز لكون المبدع العراقي كبيراً ومنتشراً رغم

الحصار الثقافي الذي يخنقه ، أردت أن أقول له إنني عراقي وقد
كلفتم من قبل قاصٍ عراقي أن أشتري له كتباً من لبنان إلا أنني
أحجمت عن ذلك وخرجت من المكتبة بفرح لا حدود له.
ثم أسر في أذني قائلاً.

- أريد أن أقرأ الإصدارات العراقية التي تخص القصة القصيرة
جداً.

- إن شاء الله.

أجبتُه وأنا أحلّق في عالم يهيمن عليه الإبداع العراقي أينما
قلبت مجلة أو جريدة ومن أي بلد عربي.
تحية لكل المبدعين العراقيين.
وتحية للقصة القصيرة جداً في العراق.

القسم الأول:

الحياة

التماهي

غرفة مشيدة من أجر وصلصال مسقفة بطابوق ، مرمية في زاوية الطوار صباح يوم شباطي مطير ، ثمّة طفل يغادر السنة الأولى من العمر ويطرق بأنامله اللدنة حوله الثاني.. وأيضاً عتبة الباب الخشبي المزين بأشكال معدنية: نسور ، أوراق تين ، أغصان زيتون ، حمام.. يطرق بصوت يتماهي مع زقزقة الحساسين الهاربة من أعطاف الزيتونة السامقة في قلب الحوش.. ينتصب الطفل ويرتكز على يديه وينظر نحو أحشاء الغرفة المصفدة بالعمّة التي تخنق بصيص الضوء الخارج من رحم ذبالة القنديل الموضوع على منضدة خشبية وسط الغرفة. يكركر الطفل إستجابة لنداء بنبرة محتضرة لإمرأة تجلس على تحت خشبي ، وإذ يرتد الضوء ويلطم الوجه الشائخ تبرز ملامحه جلية متلفعة بذلك التمازج النادر والتلاقي اللامعقول بين الضوء والعمّة المنفرش على تفاصيل الوجه: عجوز بلامح دقيقة شاحبة ولكن بها مسحة من جمال باهر مغادر ، وإبتسامة ساحرة تجعل الملامح مثل لوحة جميلة لفنان إكتوى بالتقاط اللحظات

التي لا يقتنصها إلا كائن مفعم بخيال جامع ، يهمس الوجه بصوت ناعم.

- تعال...

يقف الطفل على يديه ويرفع رأسه كحصان التقط إشارة نادرة تنبئ عن فعل قادم خارج المألوف ، تقتحم النعمة أذنيه وتدخل وجدانه فينتشي ملبياً صدى هذا النداء الدافئ ، يرقى العتبة زاحفاً على عجل ويدخل جوف الحوت ، يقف إزاء الساق العالية للمنضدة وينظر وفي شفثيه إبتسامة تحاكي إبتسامة العجوز المحاط بتل باذخ من وسائل ريش الحمام ، تمد يديها الواهنتين ، تلتقط أنفاسها المتلاحقة المتعبة عقب هذا الجهد اليسير ، تهش...

- هيا يا حبيبي.

يترك الدمية الملقاة على البلاط ويزحف نحوها ملبيا صدى الإشارات الغامضة التي تلتقطها ذاته الحية ، يلتقط طرف الشرف بكلتا يديه ثم ينهض جسده ، يشعر أن ثمة قوى على شكل بساط متشكل من أنفاس العجوز تدفعه كي يقف على قدميه وعيناه تعانان أصابع العجوز الممدودة نحوه ، يمد أصابعه ثم.. تلتحم الكفان ، كف طينية ناعمة إسفنجية بأصابع وكأنها زغب صغير لقتاء في أول تبرعمه ، وكف بيضاء بشرتها محببة متقشرة بأصابع وكأنها تكوين حبال من قنب.. تلتقيان عند السبابة ، التقاء نخالة الطحين الناعمة بالبلورات الخشنة المتبقية فوق الغريال ، تقدح الدنيا خارج الغرفة بضوء باهر لبرق عاصف اومض فوق الكون ، وعند

استقرار كل شئ في موقعه.. المطر ، الهواء ، البرد ، في الخارج..
والظلمة ، الأثاث ، الأنفاس ، في الداخل.. كان الكيان الهش الناعم
يجلس فوق التخت الخشبي مسوراً بالوسائد ومن عينيه تمطر الحكمة
والحنكة ، وعلى مقربة منه ، فوق البلاط ، قرب ساق المنضدة
يجلس كيان يسابق الدقائق نحو حتوفها ، يداعب بأصابعه الحبلية
دمية صغيرة وفي عينيه براءة أطفال الكون.

نيرفانا

دخلت بعد أن خلعت خفي ، رأيت..

أرضاً فسيحة مسيجة بهياكل جرداء لأشجار العوسج وقد
تخاصمت مع الحياة ، بدت من بعيد وهي تتطامن نحو الأفق الرمادي
والسماء الرصاصية أشبه بلوحة تجريدية لم تتجلّ لفنان من قبل ،
هذه الغابة من الإمحلال تسور كومة من ناسوتات لها كتل محددة
قد تتشابه أو تختلف في بعض التفاصيل ولكنها حتماً متماثلة في
معظم هيكلها ، تتدافع بحميمية وتنافر جلي بالأيدي والمناكب ،
ليتوالد تصاحب يمور بحياة تنسل من أعطاف هذه الأجساد ، وهي
عبثاً تحاول أن تنأى عن بقعة مضيئة وسط التجمع حيث الأرض
الجرداء اليبوس ، أجرام أنسية سوداء ورمادية وبيضاء وصفراء ،
قميئة وفارغة وربعة ، عضلة وضامرة ومقبولة ، فزعة ولا أبالية
وأخرى في نقطة إنعدام الإحساس ، ملامح يتشابه فيها رجوع
الصدى لحالة الفزع والترقب والهرب من نار تشب من نقطة غائرة
في الثرى ، أغوار الأرض هي مرضعتها ، والملاح ، لا مناص ،

دائمة البحث عن إجابة لعلامة الإستفهام التي تتشكل في ذاكرتهم عن معنى وجودهم وسط هذا الأديم الموحش ومعنى وجود هذه النار التي لا تتغذى من غصن أو وقود أو حشايا الخرق ، بل من شيء آخر ، ربما من مشيمة الأرض الجرداء ، وقبل أن تتشكل علامة تعجب خلف الإستفهام ، يرونه وهو يتقدم بخطى ثابتة ، يزيح يديه كومة من أغصان العوسج المائتة وتتقدم خطاه بثبات نحو النار ، يطأها ، ينضي عن جسده ثوبه ، يتبدى تحت خيمة الليل مثل عمود من ضياء ، يدخل النار ، ترتديه بدءاً من قدميه الخافيتين صعوداً حد الهامة ، وكلما إرتفعت أسنتها تركت خلفها ناسوتاً يتحول إلى كتلة من كائن أشبه بتمثال من سنا ، وقليلاً قليلاً ، يرتفع محاطاً بهالة من نار نحو السماء فيما تنبث من ذراعيه المفردتين حزم من نور تجبب الأجساد التي تأصرت وخطت بقدمين إثنتين نحو النار ، بينما تحول الأديم إلى أيكة تتسربل بالورود والتين والزيتون ، والفضاء تحول إلى قوس قزح...
خرجت ، لم أنتعل خفي ، إلتفت ، رأيت...!

العناصر

الأرومة تتقشر وتتقصف بفعل اليبوسة وشمس رآد الضحى ،
والتراب الساخن يتمرغ في أمواج سمت الشمس ، وفي المدى
المعرش بالشهد ثمة طفل صغير نبت بغتة من الأفق المصطلي
بالرمضاء ، يكتسي بأسمال لا تصل الحقوين الناحلين ويسحل
خطاه راسماً على الطريق النيسي أثر خطواته المدماة ، وإذ ترتفع
القدم منفكة من أسار الرمل ، تتحد قطرات الدم بالتراب
الصلصالي ويتوالد أطفال عراة مجتّحون ، يركضون نحو الطفل
ويحلقون حوله راسمين فرقة أوبرالية تغني أغنية عبقة بأنفاس
السماء والهواء والطين والنار... يزحف الطفل باحثاً عن فيء صبيبة
أو حجر أو نتوء ، يتمدد فوق مرتفع رملي ، يستلقي على ظهره ،
وينظر إلى سرب الأجواق المحلقة من الأطفال المجنحين ، يراهم
يرمقونه بنظرات زاخرة بغناء حزين لا يستكين ، ينث زفيراً عصياً
مؤرقاً يتوسل شهيقاً جديداً ، تسللت قضبان من نايلون تكمم فمه
ومنخريه ، يفتح عينيه ، ويصرخ دماغه...

- هواء.

تنحسر أسراب الأوكسجين إلى رثيته أنساماً ربيعية ، حشايه
تكتوي بعطش كافر ، يصير جسده أرضاً باثرة يعصف بها الجفاف
يصرخ فمه.

- ماء..

الكل ينظر إليه ولا يستطيع فعل شيء: التراب ، الهواء ،
والمدى ، يتحلق حوله المجنحون ويرددون قصة حزينه جداً عليهم
يبكون ومن قطرات عيونهم يبللون ريقه ، ولكن دون جدوى ، بكاء
يمزق الأنياط ، بعيون لا تتخضب حتى بسراب ، ومن جراحه: في
الوجه ، الصدر العاري ، البطن اللدن... تتمخض كائنات جديدة
بهيئة أطفال مجنحين تنتشر حوله ، وتحت جسده المسوس بطيف
الماء ، وتشكل أجنحتها الشفيفة وسائد وبسط من ريش تحمل
طفلاً مدمى يتناوبه شهيق وان ووجيب أوهن ويحلقون به عالياً ،
عالياً ، إلى ممالك الماء.

إبتسامة

بيت قديم تهب من جنباته رائحة الطابوق والرطوبة والذكريات العتيقة ، بيت كل مافيه قديم: الأثاث ، البلاط ، التنور ، الطابوق ، الستائر ، والأنفاس التي تتجول في أفيائه وزواياه وسقوفه المتقشرة.

بيت كل ما فيه يفصح عن خلاصة عراكه مع الزمن وهو يلم بقاياها المتهالكة وفي بصيرته تجربة العنقاء مع الرماد.

بيت يقايض ما تبقى فيه من حياة بالتمسك بأهَاب المرأتين الشابتين اللتين تؤنسان وحشته بصراخهما وشجارهما السرمدى أثناء الليل وأطراف النهار ، وبعد أن ينتهيان من الزعيق تقتعد كل واحدة عتبة غرفتها ثم تشرعان ثدييهما بوجه السماء والزمن المهرول والشمس اللائبة ، ويلقفان الحلمتين بفمي طفلين رضيعين.

الأولى: وهي تناغي رضيعها المنهمك بالمص مثل نحلة دؤوبة على وردة ريانة يغطيها الغبار والنسيان.

- هلم يا صغيري الجميل ، أروض حليبي الطيب لتصير في المستقبل طبيباً مشهوراً يداوي الناس.. الناس الطيبين فقط.

وترمي الأخرى بنظرة مصبوغة بألوان الطيف النفسي المتشابك
كنسيج العنكبوت ، وفي العمق ، في سويداء الحدقة نيران تهمني.
الثانية: وهي تحضن وليدها وتعصر ثديها بأصابعها المتشققة ،
ترنم.

- هيا يا صغيري الساحر ، أضع روحي وحياتي لتصير مهندساً
معروفاً يبني العمارات ويسكن في قصر كبير وله سيارة حديثة..
وعلى كيد العذال.

والعنكبوت ينسج في الكيانين اللابدين خلف خرق تعارك
الزمن ، ويتحول الكيانان إلى مجرد خيوط دكناء لعناكب عديدة
تسكن القلوب والأعصاب لتتحول المرأتان إلى عود ثقاب وكاز.

الطفل الأول: يتخلى عن الحلمة ، وينظر إلى الأخر.

الطفل الثاني: يتخلى عن الحلمة ، وينظر إلى الأول.

فيشرق الطابوق المتداعي والسقف المشقق والطوار البليل البارد ،
بطيف إبتسامتين تنسل من فمين لدنين ويغسل أدران الزمن ويقطع
خيوط العنكبوت.

الذبيحة

طرق الباب ، فتحته ، كان صديقا لم أره منذ زمن بعيد ، تعانقنا بجمرة ثم دعوته للدخول ، إحتوتنا الصالة الفسيحة المضياء ، كان يبتسم وأنا كذلك ، إستأذنته وفي بالي أن أهيمىء العشاء ، فتحت الثلاجة ، كانت فارغة ، همست لنفسي.

- كيف أتصرف؟

وتناهى إلي سمعي فأقاة الدجاجات ، هتفت.

- وجدتها.

تناولت السكين من المطبخ وخرجت إلى الحوش الخلفي للبيت ، كان مضياء بمصباح إرتداه السخام فبدت الإضاءة شاحبة ، فتحت باب القن ، خرجت الدجاجات تبحن عن الطعام وهن يحسبن الدنيا فجرأ ، مددت يدي وتناولت واحدة ، فأقأت بصخب فأمسكتها من زلعومها فخرست ، مددتها على الأرض ، دست على رجليها بقدمي اليمنى وعلى جناحيها بقدمي اليسرى ، شهرت سكينى وأمسكت رقبتها ، وبغته ، وجدت نفسي ملقى على الأرض

والديك يقوم بدوري ، حزّ رقبتي ، ظل دائساً على يدي وقدمي
حتى نضب دمي من العروق وهمدت في جسدي الحركة ، ثم سلخ
جلدي وسحبني إلى المطبخ ، قطعني إلى شرائح صغيرة ووضعتني
على الشواية ، ثم وضع أوصالي المشوية في صينية مرصعة بقطع
الخيار والبصل والفلفل الحار ، حملني ومشى صوب الصالة بطريقته
الفحلة ، وقدمني عشاءً فاخراً لصديقي الحميم ، مد صديقي يديه
وإقتطع قطعة مقددة من فخذي ورفعها إلى فمه وقضمها ، تيس
حلقي وتلاحقت أنفاسي وصعدت شهقة حبيسة حادة مدوية وأنا
أرى جسدي يؤكل بتلذذ ، فدوت من حلقي صرخة هدرت
كالشلال وإنبت كالصهيل خارجة من الغرفة نحو أشتات الأرض ،
فقفزت من الصينية وفتحت عيني لأجد نفسي أنتفض كالمدبوح في
فراشي ، والليل يللم عدته لإصطياد الفجر الوشيك.

الإنعتاق

مشى عالم النفس الشهير بين الكراسي التي تشكّل في تراصها وتوازيها معالم القاعة ، وقف إزاء العيون المسّمة في محاجر غارقة بالصمت ، حنى رأسه ثم جلس على كرسيه قبالة الوجوه جوار الأستاذ الألمعي الذي قدمه للنظارة قبل قليل ، مديده نحو القدح المملوء بالماء وعبّ منه رشفة ، تأمل الوجوه المحشورة على المقاعد ، ثم ابتسم عن أسنان نضيدة بيض ، وعجت القاعة بالتصفيق.

& & &

من زنزانة قضبانها عظام طويلة ناصلة متينة بيضاء ذات أرض محصبة حمراء ، ومن بين ورقتين كبيرتين ورديتين أنشأت الشرنقة تتململ ناضية عنها ثيابها العتيقة ليتولد عنها كائن بعينين حمرايتين وجسد هائل في مقدمة رأسه فم يتهدل على جانبيه نابان حادان يقدحان ناراً برتقالية ، أحس عالم النفس الشهير بألمٍ كاوٍ ينث من نقطة عميقة الغور في صدره ، بين الشديين تماما ، وطفق

يصعد مقتطعا الأوردة والشرابين والقصبات باحثا عن منفذ
للإنعاق ، مد العالم الشهير يده نحو ربطة العنق ، ثم انكفأ على
وجهه.

& & &

وقف عالم النفس الشهير إزاء العيون المصلوبة في محاجرها ،
أحنى رأسه المكلل بشعر وردي ذو نهايات أمضى من نصل
السكين ، ثم جلس على كرسیه جوار الأستاذ الألمي ، إبتسم
لجلسه... كان الكرسي فقط يهتز بفعل قوة هوجاء أزاحتها جانبا ،
إمتدت مخالبا كفه المدببة نحو القدح وقذف في جوفه بصقة
دموية ، تأمل الوجوه ثم إبتسم للمقاعد الفارغة كاشرا عن نابین
يقدحان بروقا وفم يتدفق بركانا ، وعجت القاعة بصمت رابع
مطبق.

الأصدقاء

أتكور ، أتقنذ ، أصرف أسناني صريفاً ، أدخل ركبتيّ المرتجتين
في حنايا بطني الحارة الدافقة بالأنفاس ، لا جدوى... البرد يثلج
عظامي ، والبطانية الفريدة الوحيدة تقف عاجزة أمام البرد القارس
(تجعل الجسد يحترق وكأن البرد نار) ، أفتح عينيّ وأشمل غرفتي
بنظرة متعبة: أغرق مع أسيائها وأبحث عن أثارها وسط دغل من
غلس جهم هارب من نثيث الريح المدومّة في الخارج ، المتعاركة مع
أشجار النخيل والسدر والصفصاف ، أتوسل الضياء... أراه ملموماً
على نفسه وينوس بإستحياء جم في أحشاء الزجاج الصغيرة
لقنديل لم يغتسل منذ زمن. أقفز من السرير وأتوثب قافزاً في أرجاء
الغرفة مثل ممسوس ، أبحث عن البرد لكي ألثم خناقه بقبضتي ،
أهمس لنفسي.

- كيف أتصرف؟ كيف أتقيّ الزمهير المسافر في أعماق
العظام؟

أتجه صوب المنضدة وأفتح زر المذياع ، وشيش كالريح الصرصر

الهابة من أعماق الغابة الغارقة في عمق القرية الحجرية ، أقفل الزر
فيغرق الكون في سمفونية الليل والبرد والريح ، وفي لحظة تعاقب عيني
أصدقائي الخُلص في وحدتي الخرافية ، أراهم يتسمون لي:
همنغواي ، باربوس ، نجيب محفوظ ، ديستوفسكي ، ابن طفيل ،
ديوارنت ، ملفل ، يوسف أدريس ،... الخ ، أبادلهم الإبتسام وأهمس
لهم.

- أعرف ما تفكرون فيه.

وفي الحال أنفَذ رغبتهم الملحاحة ، أحملهم برفق بأغلفتهم الزاهية
وأرتبهم فوق البطانية ومن ثم أحشر أصدقائي الآخرين فوقهم ،
نتراص في كيان مفعم بالمحبة الأبدية ثم أحشر جسدي المنتفض
بالحياة تحت البطانية وأغمض ذاتي على همساتهم وقصصهم
ورواياتهم وأبحاثهم التي ما أتموها بعد.

الحياة

وضعت اللطخة فوق الوجنة ثم ألقيت الفرشاة وأمسكت رأسي بكفيّ ، رشقت القماشة المطعونة بالألوان بنظرة تأمل عميقة وهمست.

- يعوزها الشيء الذي لا يزال كامناً هنا.

وأشرت بسبابتي إلى صدره ، وأكملت.

- لا تزال تأبى الخروج.

ويعد صمت.

- قد تكون نبضة واهنة ، أو شهقة قصيرة ، عندئذ تسري الحياة

في أعطافه.

تأملت من جديد تفاصيل اللوحة: أصلع ، كهل ، أشقر ، بنظرة شاردة بعيدة... لوحة بهية بألوانها وكيونتها ، ولكن كل شيء فيها شمع بارد ، لا تقدح فيه شرارة الحياة. وقفت وسط الرسم وأنشأت أتأمل الحيطان المزروعة باللوحات ، ثم حولت عينيّ نحو النافذة ، رأيت الليل ينصت إلى صراخ الفجر الوشيك ، تذكرت صديقي

وهو يقول.

- أريدها غداً صباحاً ، لكي أؤطرها وأهديها له عصرأً.
أعرف مدى جدية صديقي وحسمه للأمر ، قطعاً سيأتي بعد
ساعات ويسأل عن اللوحة.

- ما العمل يجب أن تسري الحياة في اللوحة.
وبعد صمت قصير خاطبت الوجه الشمعي في اللوحة.
- الحياة.

أجلس على الكرسي الهزاز وأغمض عيني ، إنني على يقين تام
ما كنت أحلم قط حين أيقظني الكهل برفق ثم همس بأذني
بصوت كالنسيم.

- دعنا نكمل اللوحة.

مشى صوب كرسي خلف اللوحة بجلبابه الاسود المخزم بحزام
أحمر وجلس ، إتخذ وجهه نفس الوضع المرسوم على القماشة وقال
بصوت عميق ودافئ وزاخر بالحياة.

- هيا...

ولم أتفاجأ حين رن جرس الباب لأن الوجه في اللوحة كان
مكتملاً مزهواً بالإبتسامة والحياة فقد كنا معاً ننسج تلك الشهقة
الشاردة ، وذلك النبض العصي... ذهبت وفتحت الباب ، كان
صديقي واقفاً كالتمثال يبحث في حشاياه عن نبضة أو شهقة ،
هتفت مثل صبي إقتنى قطعة سكاكر.

- إكتملت... إكتملت،

دخل صديقي... خطا بصعوبة نحو منتصفها واقعد الكرسى
الهزاز ، التفت الوجه في اللوحة وابتسم بوجه صديقي الذي كان
ثمة طيف شفيف يغلف عينيه ، رأيت ، ثمة قطرات صافية تهطل من
أهدابه ثم يلتفت ويهمس بصوت واهن حزين وسبابته تشير إلى
الوجه المبتسم في اللوحة.

- الابتسامة نفسها ، كانت تنفرش على سيماءه ، حين وجدوه
ممدداً على الأرض.

ثم بعد صمت مشحون بالأنفاس.

- وهو دون حراك.

الصهيل

يتوقف ، يلتقط أنفاسه المتلاحقة ، يهادن صدره المتوثب ، يمسك حزامه الجلدي بكلتا كفيه ويسحب بنطاله المتهدل ، يخرج منديله الأبيض ، يخلع سدارته ويمرر المنديل على صلعته الشائخة ، ينضي عن أرنبه انفه نظارته الطبية ويمسح الغبار المنتشر في أديمها الشفيف ، يضعها ثانية على الأرنبه ويحدق.. الشمس سيدة الموقف ، تلهب وتصفع وتمطر على كل شيء: البيادر المكومة ، الأحصنة المربوطة وهي تمضغ بتكاسل أكوام القش المدروس ، الأبواب الموصدة والمفتوحة ، وأسطح البناءات العالية التي تحزم الساحة من كل صوب ، الكل يخضع لسلطة الظهيرة اللائبة بإستثناء بعض الأولاد الذين لا يربو عددهم على أصابع اليدين والقدمين ، وأقدامهم الخافية تتقاذف كرة صغيرة من كتان.. يركن مرفقيه على النهاية المعقوفة لعكازه ويتابعهم بفرح لا حدود له ، كان أحدهم يركض بالكرة بأقصى سرعة يتبعه عدد من الأولاد يحاولون منعه من الوصول إلى الهدف الذي يجرسه صبي أصغر منهم ، يحاول أن يسابق الزمن ليتكهن بالنتيجة: هل سيحرز هدفاً؟ أو سيلحقه

الآخرون؟ أم أن الحارس سيقطع عليه الطريق ويصد الكرة؟ وبغته.. يتوقف اللاعب ويمسك ساقه المتشنجة والألم يستوطن ملامحه الغضة ، يشعر أن ساقيه اللتين تشبهان غصني عوسجة ميتة قد تدفق فيهما نسغ جديد يافع فيلقي بالعكازة والنظارة والسدارة أرضاً ويطير في الهواء ، يدرك صديقه المصاب ويختطف الكرة بمهارة ثم يسابق نفسه ويواجه المرمى ، ويقذيفة يشحن بها شجن سنين الطفولة وعنفوانها المفقودة يرفض الكرة بقوة فتمرق من بين يدي الحارس وتدخل الهدف يهتف فرحاً. - هدف.. هدف.

يتقافز مثل صبي في العاشرة ويدور حول نفسه مرتين ثم يركض صوب الصبي المتشنج مستعيراً ساقى أيل في ميعة شبابه ، يحتضن صديقه ويحمله ، يدور حول نفسه وهو يقبله ويهمس.

- كان هدفاً رائعاً.

تصطدم نظراته الممسوسة بكهرب الفرح اللامحدود بعيني صديقه المدهوشتين ، يتوقف ويحدق حوله.. يبصر الصبية المتجمهرين حولهما ينظرون إليه بعيون مذهولة وبصائرهم تحاول جاهدة أن تفهم هذا الشيخ الذي برز فجأة من خلف أكمة من تبن مدروس وركض بكل سرعة نحو الكرة وسجل هدفاً.. عندها فقط يدرك أن الصبي الذي تسلل من حناياه ومارس حياته لوهلة خاطفة قد إختفى ثانية في نقطة غائرة في حشاياه.. وإنه الآن مجرد عظام فارغة على جلد مدبوغ تقاومان بلا هوادة نقطة الصفر ، فيتهالك على التراب ينزف سني عمره الطويل دموعاً تضاهي الندى في شفافيته.

الصخرة

دخل رجل مدينة متلفعة بالليل ، إتجه نحو حي الشمال ، طرق باباً ، فتحه شيخ وقور بجلباب مذهب الحواشي ، قال الرجل:

- جوعان.

أُوصد بوجهه الباب.

في الحي الجنوبي.

- عطشان.

أُوصد بوجهه الباب.

في الحي الشرقي.

- تعبان.

أُوصد بوجهه الباب.

في الحي الغربي.

- نعسان.

أُوصد بوجهه الباب.

خرج من المدينة ، إتكأ على صخرة صماء يتأمل البحيرة

الغافية ، أخضلت عيناه بالدمع ، وفي إحدى إنفتاحات الأهداب
البليلة لمح من أبواب المدينة: الشمالية ، الجنوبية ، الشرقية ، الغربية...
أطفالاً يخرجون أسراباً: جوعى ، عطاش ، عرايا ، نُعس. دخلوا في
الرجل ، فتسرلت المدينة والصخرة والبحيرة والسماء بالضياء ،
وإنشقت أبواب المدينة...

العشان

إرتقى الصبي قمة الجذع ، كان يعّض طرف دشداشته بنواجذه
بشّدة ، وييده اليمنى يتحسّس الصرة الصغيرة التي تعانق أسفل
بطنه ، يحس بالرطوبة تداعب أسفل سرته فيحبس ضحكة
عميقة ... يحدق صوب الهدف ، يخرج الأول رأسه ويرشقه بنظرة
مستفهمة بعينه الصفراوتين المزغبتين فيما الآخر لا بد على القش
لا يند عن أية حركة ، يمسك بالغصن محاذرا ألا يسقط ثم ينهض
قدميه وينزلق جسده زاحفاً فوق الأوراق مثل أفعى محنّكة ، يحاذي
العش ، ينظر اليهما... شعرا بوجوده فرفرفا جناحيهما اللحميين
وفتحا منقاريهما وأغلقا عينيهما ، مد ذراعه نحو عبّه وأخرج الصرة ،
فرشها على الملمة دشداشته بين ساقيه ، بانث في طياتها حبيبات
البرغل المطبوخة الباردة ، أركن ظهره على غصن غليض ثم مد
أصابعه وتناول حبة ووضعها في جوف المنقار الأول والثاني ، وهكذا
منقار يعقب منقارا حتى إرتكن الرأسان في دعة وهدوء وفي أمائر
العيون شبع أكيد ونعاس أسر وناما بأمان في العشّيين... عش من قش
وأخر من لحم ودم.

المنقذ

الممثل وسط المسرح يحاول أن يلم شتات الذاكرة ويشحن الحركة بدفق من الحس الدرامي المبتكر ، يصعد إلى أقصى درجات التركيز ويهبط إلى أدنى درجات الإحساس ، بيد أن الخيط الذي يحاول عبثاً أن يقطعه بينه وبين المتلقي الجالس وسط الظلام والأحداق تسوره مثل قضبان السجن ، لا يزال يكبله مثل أساور من حديد ، ينظر إلى المثلة علّه يجد منفذا يتسلل خلاله ويستكنه العطب علّه يصلحه ، ولكن لا يجد أمامه سوى هيكلأ أنثويأ غارقأ في الحيرة ، ينتظر القشة التي تنقذ العرض المسرحي الأيل إلى الفشل وهو في قمة الذروة ، يعصر الممثل جبينه بحركة يحاول أن يمسرحتها ويهمس لنفسه.

- أين المنقذ...؟! أن السفينة تغرق في لجة الفشل ، ورياح التذمر لا تني تصفع سارية العرض المسرحي ، والبرق العاصف الهاب من الهياكل الأدمية المتراسة في مقاعدها وسط ظلام الصالة يشل الحركة... أين من ينقذني؟!.

ويقذف نظرة حيرى نحو الكواليس ، يبصرعينين دامعتين
للمخرج وهما تتوسلان به أن يتماسك ويبحث عن الحوار الضائع ،
يفرد الممثل ذراعيه كعلامة يأس ، يسقط في يدي المخرج ، يتهالك
على المقعد وقد سقط الرأس وسط الكفين ، يحول الممثل وجهه نحو
مثل مقنّع واقف جوار المخرج وينظر اليه بيأس ، يستلم الآخر
الأشارة فينقذف وسط المسرح بقناعه الأسود وقفازيه الأدكنين ، يفتح
ذراعيه على وسعيهما ويخرج اللحن من فمه شلالاً ، عاصفةً ،
جبلاً ، ويصلي الفضاء بالنعمة الساحرة.

دول دول /دولية/بابوخ زله لبارية /كماثيلوخ ساراقيه/كسرقى
كنكلياثوخ / دلعيريلوخ خورياتوخ / عطارة كبيثى بيئته / بيئته
ميكت دكثيثة / كشيثة كبئاله لقطه / لقطه ميثكت سوته / سوته
كبئاله كورة / كورة مسبثت قورة...../

تصطدم عينا الممثل المقنّع الصداح بعيني المخرج صاحب
التجربة العريضة ، يلحمه غارقاً وسط الذهول والنشيج الفرح
الصامت وشعاع ينسل من موقيه يترجم رجاءه.

- استمر ايها العزيز.

يرسل إشارته.

- ولكنهم لا يفهمون ما أقول.

تأتيه إشارة المخرج.

- هنا مكن القوة ، هذه هي الحلقة المفقودة..

- وهل فهمت أنت ما غنيته؟

- أحسه بجوارحي... أرجوك إستمر.

ويصيح صوته متدحرجاً في دائرة مركزها الممثل الحائر الجاثي على ركبتيه وهو يستوعب بإحساسه ما قام به هذا السيمرغ الذي لا يزال يخلق حوله بجناحيه ووجهه الصبوح الذي أبى أن يتوارى خلف القناع فتبدى مثل شمس بارقة ، وأحس وهو في جثوته بأن الحلقة المفقودة تتأصر مع زميلاتها وأنه وجد المفتاح من خلال المنقذ الذي ينشد بلغة لا يفقه منها حرفاً.. الصداح تجول في الفضاء وعانق المقاعد ودغدغ الأجساد المتطاوعة فتحولت العيون إلى مراصد تتابع بذهول هذا الغناء الرجولي المفعم بالحياة ، فتجدّرت في مقاعدها مثل تماثيل جبسية ،... وفي لحظة تجلي وهو ينهي الأغنية بهذه اللازمة.

مايد الها خلية / ومايد صطانه سريه.../

شعر انه ربان هذه السفينة التي أنقذها من الغرق ، وأن الوجوه المصلوبة والعيون التي تسوره كمعصم تكاد تلتهمه كقطعة حلوى صارت من رعايا هذه المملكة ، إنسحب من المسرح والتصفيق المتواصل يتابعه مثل مطر ربيعي منعش.

دول دول دولية: أغنية لترقيص الأطفال الرضع من قبل الأمهات باللغة

السريانية.

عالم وردى

وُجد الرجل ملقى على بلاط الغرفة ، حجرة مسدلة الستائر
يكتنفها الغموض والفوضى ، التلفاز يعرض صوراً للرسوم
المتحركة ، والمذياع مكتوب بسعار أغنية مجنونة ، وكل شيء في
تفاصيل الغرفة يدل على أنها كانت ميداناً لصولة تقاتل فيها
الدولاب والسرير والفرش والوسائد والطنفاس ، فوضى متشكلة
على هيئة عمل تشكيلي ينتمي إلى مدارس فنية مختلفة تحيط
بالبؤرة التي يشكلها هذا الرجل الممدد بكامل ثيابه وجسده يرتعش
تلبيةً لنوبات إهتزاز متواصل من قمة الرأس حتى سفح القدم ،
ومن الفم المقفل على أسنان تصرّ بوحشية على قطعة قماش
حشرت بين الأسنان يسيل دفق أبيض من رضاب ، والعينان مجرد
بياض أزاح السواد ، والأصابع تقبض على ورقة مكتوبة ، صاح أحد
الرجال.

- انه مصروع.

وتناب الرجال في حمله ، عمد أحدهم إلى إخراج لسانه من

فجوة بين الأسنان مخافة أن يعظه ويقطعه ، وقام الآخرون بحمله ،
وقبل أن يبتعد أكثر من خطوتين داهمته قشعيرة فأرتجف وإرتعص
بشدة ثم إرتكن إلى هدوء أشبه بسكون البحر بعد العاصفة. توقف
الرجال مأخوذين بالموقف ، إرتخت كفه فسقطت الورقة مدعوكة
متدحرجة على البلاط ، تخاطف الرجال بإخراجه بسرعة البرق ،
إنحيت على الورقة والتقطها ، عدلتها ووضعتها على المنضدة ، كانت
مكتوبة بخط مرتبك وغير مرتب... كانت تقول:
" ... انه يشبهني تماماً ، يمك بيديّ ونطير الى عالم... أه ، كم هو
جميل هذا العالم الوردى..."

ما كان حلما

الفضاء الموبوء بالعمته والعطن والهواء الرطب والعناكب السادرة
يجم على المناضد والتخوت ويتسلل إلى ثنايا الوجوه المصلوبة على
الجدران والمرابا...

والذكريات العتيقة والقامات المتلفعة بالدمائث والصبايات والأحذية
القطنية ورائحة التبغ الرديء ، تفد إلى الداخل مضيئة الأرجاء ببريق
عيونهم وأسنانهم ، يتصالب الليل في الخارج ويومض المكان بأسنة النار
المنبعثة من السماور المرصع بالحلي العاجية وخرز الكهرب ، تجلس
القامات على التخوت وعلى الأفرشة البالية اللائطة حذاء الجدران:
تدخن ، تتصايح ، تتخاطب بالأيدي والإيماءات والإيماضات... تلعب
النرد والحلوسي والداما ، تتزاحم في الفضاء رائحة: السعوط والقهوة
المرّة واليانسون والبيسون والهيل والشاي السيلاني و... الأحاديث ،
والذكريات ، والآهات ، والأغنيات ، والمواويل ، حتى أن الرجل أقسم
أنه في أوبته من المدينة فجراً لم يكن يحلم قطعاً حين شاهد والده
وخاله المتوفيين منذ عقدين من السنين ، يخرجان كتفاً لكتف من بقايا
المقهى المهجور المستوحّد في طرف القرية.

وردة حمراء

كنت أحبها وكانت تجني ، كل يوم أتججج بأي عذر لكي أقطع الزقاق لأجدها تنتظرني على عتبة الباب بثوبها الأزرق الطويل ووجهها البض البديع ، وكنت عندما أحاذيها أرفع طرفي حياء لتعاقب نظراتها الولهي ، فيتضرج وجهي بالدم وبصير مثل تفاحة ، أبتسم ثم أغادر على عجل ضابطاً أعصاب أقدامي لثلاث تنهار وأتهاوى إلى الأرض ،... وفي يوم ما لاحظت أن هناك عينان تراقباني ، سقط قلبي من صدري وتدحرج على الأرض ، وقفت أراقبه وهو يرقص مثل دجاجة ذبيحة ، سمعت الخطوات المتهادية خلفي تماماً ، تجذرت قدمي في التراب وصرت أنظر إلى الفتاة بعينين خائفتين ، وعندما حاذاني تخاطف جسده الفارع البديع وواجهني ثم مد يده وأعطاني وردة حمراء ، إبتسم ثم مشى صوبها وأعطها وردة حمراء ، تراجع خطوات إلى الوراء ثم تملانا بفرح طفولي لا يناسب سنه الثلاثين ومشى صوب فم الزقاق ليتلقفه صبيان الضيعة بالحجارة وقشور البطيخ والرقي وهم يصرخون.

- هي هي مخبل.

التصفيق

دخل القاعة يقدم قدماً ويؤخر أخرى ، سحره الصمت الذي أعقب تلك الجلبة المكتومة للأجساد المعروقة المتدافعة للخروج إلى الفضاء ، توقف... رفع رأسه وشمل أرجاءها ببقايا نظرة كسيرة مليئة بالشنار وجسده يعرق الخيبة والفشل ، والإحساس بالضالة يعرّية حتى العظم ، صفدته النافورة التي تتوسط القاعة ، لخبر ماءها وهو يتدفق من الخوذة المعقّرة بالدم والتراب ، واللذان في يشكلان في تكلسهما وتأصرهما خميرة خبز سماوي له طعم شهد لا ينتجه نحل أرضي ، والنافورة تتجه بأبصارها نحو صدر القاعة حيث تشخص منصة من خشب الزان يتدفق منها صفان من الكراسي البلاستيكية... وبالعجب الزمن ، الزمن كائن فريد كلما توصلت إلى إستغوار ملامحه تترجرج إلى كائن جديد ،.... إيتسم بمرارة ، ما يفكر فيه الآن هو الشعر بعينه ، ومن خلل الدمعة النازقة من مآقيه أبصر شاعراً له ملامح تتطابق مع ملامحه يتجلى على المنبر مصحوباً بالطوفان الهادر من أعماقه ليصطدم بالصمت المريب الذي

يتشرب من الوجوه المصلوبة على جدران القاعة ، والعطش في
عيونها العطشى ليس للشعر حسب بل لتراويل الملائكة ،... أحاط
الصور المصلوبة فوق المربعات المرمرية المرصوفة بنسق ينافس
حجيرات خلية النحل في تناسقها ، وهمس يناجيهـا.

- إنني أحتكم إليكم ، إليكم حسب... هل أنا شاعر فاشل....؟
لمح الوجوه تغادر شواهدا وتتجّيب أجسادها الأثيرة وتفتعد
الكراسي بهدوء مهيب ثم شخصت أبصارها إليه ، أخرج ورقته
المدعوكـة ، بسطها فوق المنبر وإستدعى ربة الشعر التي وافته ترفرف
فوق هامته بشكل سرب من الفراشات تحترق في الإحمرار الباذخ
للماء المتدفق من الخوذة لتسقط شظايا من أوراد النرجس فوق
الحوض الذي يتهدى مأؤه بسكينة الفراديس ،.....وأكد المكلفون
بغلق المتحف بعد الأمسية الشعرية ، أنهم رأوا الشاعر الذي كان
يبكي في الطوار قبل إنتهاء الأمسية بعد أن خذله الجمهور يقرأ
قصيدته للكراسي الفارغة والنافورة المتدفقة بالماء والغسق الزاحف
الى الأرجاء ، كل هذا أدخلوه ضمن المنطق كون الشاعر في حالة
خاصة ، ولكن غير المنطق في الأمر (ويعززون ذلك بالقسم) إنهم
سمعوا تصفيقاً متواصلأ ولأكثر من خمس دقائق ، ولكن بمن ؟...!!!

الطيف

أمشي متأبطاً الليل ، ليل نزق يشاكس الشوراع والأزقة
والبيوت... ألعب لعبة التخفي مع الوقت ، كلما أمسكت به صار
هلاماً ، لتحده بصيرتي بالدقائق التي تستدعي الفجر ، ذلك الحيز
الزمني الذي يهيمن على الوجود فيصير النوم حبة فاليوم تصفد
كل الأشياء وتجعلها أسيرة إرادتها ، حتى الكلاب والقطة والجرذان
تكسر نواميس الطبيعة فتنام متجاوزة خارج مخابئها.

خطواتي تلاحق ناصية الشارع نحو الأزقة المودية في النهاية إلى
زقاي الضيق الذي يحتضن بيتي بطابوقه القديم وشناشيله الخشبية
المتداعية... الخدر الذي تركه الفجر الوليد يكاد يشل خطواتي
للدخول في مشيمة الأزقة فأحاول التحرر من سطوته ، وحين
أفلحت لمحت شخصاً يتقدم قبالي... خلته في البدء خداع بصر
ولكن هيئته المزربة ووجهه الشاحب الذي أبانته ضياء الحوانيت
المقفلة جعلني أتيقن أنني إزاء آدمي... غريزي في الإحتماء
والتوجس جعلاني أتوقف وأنتظر ردة فعله ، بإتئاد تقدم نحوي ثم
واجهني ، أشعث الشعر كان بلحية صهباء تتهاك حتى ما بين
الكتفين وبالكد تلمح عينيه ، وقف بثبات يختلف تماماً عما كان قبل

قليل ، رشقني بنظرة عميقة ثم واصل غمغمته.

- أنا.

وأشار بسبابته نحو قلبه ، ثم واصل.

- إنسان هرم.

وبصوت خفيض.

- هرمت روحي.

تجشأ ، كاد يفرغ جوفه ، وبصوت متقطع.

- صارت خلايا جسدي صدىً للهتاف الأذن بالرحيل.

وفلحت أنامله جلّ خلايا جسده من خلل أسماه ، وتابع.

- ألا تراه...؟.

وحلّقت عيناه في سماء المدينة.

- أنني أراه...

وإختض جسدة كمن به قشعريرة.

- طريق ضيق قشيب في نهايته.

ومنجذباً نحو نقطة محددة في الفضاء لما يزل مأخوذاً.

- الأفق مضاءً بالقناديل.

وأفرد ذراعيه وأنزلهما ، كان السنا يقده من عينيه شلالاً يهطل

إلى هناك ، إلى فوق... نظرت إلى الأعلى ، لم أبصر سوى رؤوس

الأشجار والعمارات وطلّاع الشفق ، عاودت نظري وحدقت به ،...

كنت وحدي.

القسم الثاني:

مارس

أخيل

وحدك مع الليل الساجي تقبع في جوف حفرة أبعادها تتجاوز
جسدك المصلوب منذ الأزل في حناياها ، تبصر من سقفها المفتوح
تعاقب الحقب والسنين بأيامها ولياليها منذ حصار طروادة ومقتل
أخيل وحتى هذه اللحظة تراقب الموت المنتشر كالوباء في الفضاء
وفي أحشاء الأرض ، تتململ طارداً عنك سنوات الركود وترفع
أناملك الخشبية ثم تلقيها كأرومة شجيرة جوز في جوف جيب
سترتك الكاكية وتتأمل وعقب كل قرن من السبات البارد بأنها
ستتكرس في قعر الجيب المتصالب ، ولكنك في هذه المرة تخرج وقد
نبع الدم في عروقها الجوفاء بقصاصة من ورق بالية ، تحدق في
تفاصيلها بذهول ثم تغمض عينيك مستقصياً ذاكرتك المتحجرة عن
ذكرى وجه أبيض بعينين نجلاوين وشفيتين خوخيتين وغمازتين
رمانيتين وشعر مسترسل كفيض مكتنز من أشعة شمس أيارية ،
ثم تهمس فجأة بصوت يصطلي بنار بركانية.
- كدت أنساك يا واحة حياة مجدبة.

ثم تقول برقة الأنثى الراغبة.

- أحبك.

وتبصر شمساً ، وخضرة لا نهائية ، وينابيع لا حصر لها تجري في عروقها الطينية سيول الشهد واللبن والسكر ، ومن هذه النقطة البؤرية المعبأة بالسحر ينتصب في الأفق البرتقالي المقاتل لجسدك المشدوه جسد بض بغلالة بيضاء سماوية تفوح منها رائحة الأنثى ، تنقل خطواتها المائسة راكضة نحوك والريح تتخذ من طيات الغلالة مرتعاً لها ، تتحرر أقدامك من الخيوط الكتانية الصفراء لعشب الأولب القشيب وتخلق في الهواء دائساً أزهار البنفسج والجهنمي وتفتح ذراعيك على مدى إتساعهما.. وعند رأس نبع صغير تلتقيان ، تتعانقان ، وتتأمل ذاكرتك لتنعمر في لجة متطامنة من أنفاس الحبيبة فينبجس الألم الشهدي في قمة عنقك ويسري مثل تيار كهربائي من النصف الأعلى من عمودك الفقري ، تطير قدمك وذراعاك عبر آتون غارق بلون أصفر برتقالي والحبيبة السرمدية تطوق عنقك ومؤخرة رأسك بعصديها المخضبتيين بجناء وردى ، تطيران في فضاء يقدرح الوسن من سماءه وتلتقي الشفتان في قبلة محمومة ،... وتمد كفك نحو مؤخرة رأسك تلمس الدم الشاخب ، تنكفى على وجهك ، تقبل ، على أرض الحفرة شفتين مطبوعتين على صورة بالية إصطبغت عيناها بنقطتي دم ، ثم تعانق عيناك الزجاجيتان لزوجة الليل الساجي...

البيت

صبي يقتعد قمة رابية تبعد إطلاقه مقلع عن آخر بيت في القرية ، يحرق عالياً وفي فمه بقايا سكاكر ، يتابع بعينين عسليتين الدائرة التي ترسمها الطائرة المحلقة في السماء وصوت أزيزها يختلط بقأفة الدجاج المنتشر في الحقل وثغاء الحملان السارحة بين صفي أشجار الزيتون والفسق ، يتوكأ على عصاته ويلتقط قطعة سكاكر جديدة ويلقمها فمه الغض ويبدأ بتكسيورها وعيناه تتابعان جسد الطائرة الذي يبدو أحد جنبها أسود والآخر أبيض ، وهي تتقلب مثل حمام منزلي مدرب ، همس لنفسه.

- كيف تطير الطائرة..؟

ويحاول جاهداً أن يتقصى الجواب في ذاكرته اليافعة ولكنه يبدو عصياً كلغز ، يغض طرفه ويرقب القطيع ، ثمه حملان إتهجوا نحو أمهاتها وصاروا يرضعون الحليب الجني اللذيذ ، تلمض وهو يتذكر وجبته الصباحية... الجبن واللبن والحليب... أعاد نظره نحو الفضاء ، يتناوب اللونان الأسود والأبيض في الظهور كسمكة طرية تتلبط في أسار الشباك ، يتقيأ جسدها كائناً أسطوانياً ينحدر كالطر نحو

الأرض ، ثم يحتفي خلف تشابك شجر الزيتون والفسق لتصير الأرض أرجوحة والفضاء رعداً فتطير الطيور من قمم الأشجار ويسعى الدجاج لائطاً في أفياء البيوت ، وتتوقف الحملان عن اللعب وتقفز نحو أصواف أمهاتها ، وتسقط قطعة السكاكر من فم الصبي وهو يحاول أن يتماسك طارداً الرعدة من أوصاله والصريف من أسنانه ، وعندما سيطر على زمام جسده ، عانقت عيناه غيمة من دخان اسود يتعالى في الأفق ، وأمامه وعلى مقربة من جسد الغيمة وعلى مدار أفقي من ناظره وعلى مقربة من منحدر الرابية نحو النهر لمح زوجاً من طائر السنونو وفي منقار كل منهما قشة يابسة يخلقان بجسديهما الأبيضين الأسودين نحو سقف غرفة مضخة الماء الهادرة بالصوتين ، المحرك وخرير الماء المنساب نحو الحقول ، يقفان قرب السقف ويضعان قشين جديدين لعشهما المرتقب.

تقوض

هي فتحة دائرية قطرها نصف متر أو المعمورة بأسرها ، تنام بصمت مختال على رصيف مهجور في مدينة عصرية دراسة ، هي... معتمة ، فاعرة فاها النتن المتهالك ، تؤدي إلى دهليز طويل تنز منه رائحة عفونة محتبسة منذ غواير الأحقاب... تمشي خطى بحزم جلدية ضاربة أرضية الدهليز بكعوبها الحديدية فيصدر عن ذلك صدى أجوف ، تتوقف الجزم إزاء كائن مستلق في زاوية مربعة بلا قدمين أو كفين ، وقد تدلت ذراعاها المبتورتان على جانبي الجسد الذي يبدو على هيئة إنسان نائم أو مستلق على ظهره وهو يصدر حشرجة عميقة من داخله المعرش بالخواء والتهيء... رفع الكائن عينين متعبتين مسهلتين ورمق الجزم المتصالبة إزاء رأسه ، اخضلت عيناه بالدموع كأسياخ حامية ، ربما للمرة الأولى منذ زمن موغل في القدم ، همست شفتاه الخضراوان جاهدة أن تخرج كلمة أو جملة ، بيد أن كل ما حصل هو أهة موجعة واهنة ، رفع ساعداً بلا كف ومرره على باقي جسده المليء بمدن تصفر فيها رياح صقيعية يجول

في أزقتها وشوارعها الشمعية المقفّرة أسراب هائلة من الديدان ،
وجبال تذوب رويداً رويداً بفعل التعرية المتسببة من أحماض
متسربة من باطن أرض إمحلت وانتشر فيها صديد أصفر ، ثم
رفعها نحو شفّتيه وأخرج الكلمة عنوة....

- جرد.....

تحركت الجزم نحو أسفل الجسد حيث يقف جرد عملاق
يقضقض بتلذذ أسر بقايا الجسد بمدنه وجباله وأنهاه وغاباته وأناسه
ولا يني جسده الرمادي يتعملق حتى غدا بحجم الدهليز والفتحة
والرصيف والمدينة والكون كله.

قابيل وهابيل

اثنان في غرفة مظلمة تنوء بالرزء من الأثاث وبطانيات ترقد فوق
أفرشة بالية حائلة.

إثنان ، وأربعة عيون تلصف في الفضاء خارج الغرفة حيث
الومض والدجى ورجع الصدى لضجيج الزحف الآلي وأزيز
الرصاص ، وصيحات مبتورة هي لغة الكون في هذه اللحظة الحبلية
بالزوال.

أربعة عيون ، تتدحرج في مدى أحداق... عينان مكبلتان
بالأرساف ، وعينان تحتويان رشاشة مهيئة للإطلاق.

إثنان في غرفة ،... رجلان ، كائنان مرعوبان ، ذئب وشاة ،... شاة
وذئب ، إنهما وليدا اللحظة ، من الممكن أن يتبادلا الأدوار ، فيصبح
الذئب شاة ، والعكس هو الصحيح.

- القاتل هو القاتل ، والأسر هو الأسير ، والزائر لا يطرق إلا
مرة واحدة ، وهو حين يجيء لا بد له من يضيفه ، كائناً من يكون.
الرجل الذي بيده رأسه ينظر إلى الآخر... يهمس.

- هذا هو الناموس ، هكذا خلقوا القانون ، هكذا قالوا.... كن قاتلاً أو قتيلاً ، وأنا اخترت الإثنين معاً.

وتقوم العينان الحائرتان ، تنهض الأقدام الخائفة ، يتوفز الجسد المخدر ، يجري الدم الحار في العروق ، تومض العينان بغتة بألق بارق ، تمتد الأصابع المستوفزة نحو مسمار صديء ، ومطرقة ربما كانت لإسكافي كان يشغل الغرفة.... تتقدم الخطى بثبات نحو العينين المكبلتين بالأصفاذ والترقب ، يجلس الرأس المدبب للمسمار في الجبين الواسع للعينين المصلوبتين بين النهاية الحادة للمسمار التي تشيع برودة منعشة في الجبين اللائب ، وبين الأصفاذ التي حفرت أخذودها في المعصمين ، ترتفع اليد التي تحمل المطرقة في الهواء ، ثم تهوي معانقة الرأس المفلطح للمسمار فيندفع إلى داخل تلافيف الرأس بكل هدوء.

إثنان....

أربعة عيون.... إثنان زجاجيتان تبحلقتان في مسمار منغرز أعلاهما ، وإثنتان تنظران بدهشة وحيرة نحو المطرقة وهي تنام بهدوء على جبين نبت منه ثقب بحجم رأس مسمار ، يحتل منتصف الجبين كبعوضة تهوم على صفحة لبن أبيض رائب.

فزاعة

نبعت من الزحام ، أمسكتني من كتفي وثمة في مآقيها إلتماعه
خاطفة ، إرتجفت الشفتان القرمزيتان وإختلجتا...

- لازلت أسمع كركرته...؟؟.

توقفت تلتقط أنفاساً متهدجة ثم نبرت متسائلة.

- أتسمعه انت أيضاً؟.

إمتد صمت ثان ، تابعت.

- لم يبق سوى صدى الكركرة ،... يمتد بصري الزائغ ، لاشيء
البتة سوى ركام أبنية متصدعة ، وشرفات بيوت تحاكي لحظة كانت
على قيد الحياة قبل أن يحدث ذلك الشيء.

وبعد أن إلتقطت بقايا النفس المتهدج قالت.

- كانت السواعد والقبضات الخشنة المشعرة تكبلني
كالأصفاد ، تمنع جسدي الممسوس بأسار الرهبة والذهول من إقتحام
ذكرى البيت الذي كان... والولوج إلى أحشاء الحجارة وأسياخ
الحديد وعناق جسده المتناسل من هنا...

وأشارت إلى بطنها ثم أمسكتني ثانية ونبرت بحنان بالغ.
- كان مستلقياً في مهده يناغي الملائكة بكركرته ويداعبها
بكفيه اللدنتين حين دمدمت الأرض وأريدت تحت أقدامنا ملبية
نداء تلك الفرقة الهائلة ، ولحظة واهلة فقط ، إستحال الكون فيها
إلى أرجوحة ثم اختفى ولدي تحت الأنقاض.
أنزلت أناملها تتفحص تفصيلات وجهي المسكون بالدهشة ، ثم
إنتفضت وأفردت كفيها للليل الفتي المتهالك فوق الرصيف
وهمست.

- نعم يا كبدي...؟!
ويعد برهة وكأنها تستجيب لنداء أسر.
- سأتيك حالاً.
وإختفت..... كما نبعت فجأة ، تاركة جسداً شاباً مسمراً على
الرصيف وقد ألجمت حواسه
اللحظة النادرة تلك فأفرد ذراعيه مثل فزاعة.

ديوارانت

القامات تحمل كل ما يقع في أيديها ، الدواليب الفولاذية ، المناضد ، نموذج للكرة الأرضية ، تحف ، صور معلقة على الجدران.. الأيدي تتشابك فيما بينها في نزاع حول قطعة أثاث تصير في النهاية للبدن الأقوى ، الأيدي الغاضبة ماضية في حرث الأرفف ، تزيح صفوف الكتب وتلقيها على الأرض ، ضجيج سقوطها لا يمكن أن يقارن بالهدير الذي يصلي جو القاعة المليء بأكداس الكتب ، خلاصة الفكر الإنساني... والنزوع الأكبر للاستحواذ... أكوام الكتب الملقاة على البلاط تتخذ أوضاعا مختلفة ، منها المقلوب على ظهره وقد بقرت أحشائه ، ومنها الملقى على وجهه تدوسه الأقدام بلا هوادة ، وثالثة نهضت على قدمين هما طرفا الغلاف في محاولة لتحاشي حذاء ممزق يحاول أن يسويها مع الأرض.. فوضى هائلة من الأجساد والصخب وجثث الكتب تتماهى مع صدى المعادلة غير المتوازنة المتشكلة خارج القاعة ، حيث طرفا المغناطيس عبارة عن قطبين متشابهين يختصران المسافة القصية بين تلك اللحظة المجنونة

والتسليم الكامل للكتب لمصيرها المحتوم.. العالم كله صار معادلة غير متزنة ، صبي واحد فقط ، لائذ في الطرف القصي خلف دولاب متصدع إنتبه لطرفي المعادلة ، وحاول أن يعدلها بوضع طرفين متناظرين لقطبي المغناطيس حين رأى (ديوارانت) يجلس القرفصاء في زاوية القاعة وهو يبكي قصة حضارته التي سحقت تحت الأقدام ، وإنهارت في لحظة بصر.

الفينيق

أشباح الليل الشتائي الأدلج تهول في أعطف أزقة الحي الملبس
بسكون مريب ينبيء في أية لحظة بالولادة... البيوت ممتدة
بإحساس مشحون بالخوف تلم في حناياها بشر يصيخون أذانهم
بانتظار الأنين المكتوم الوافد من عمق السماء الرمادية والذي يتناسل
مع تصرم الثواني ليصير إنفجاراً عنيفاً يحيل أشباح الليل إلى جثث
متراكمة في حشايا الأزقة تنجس من أشلائها الممزقة حمرة قانية
تسلق الجدران وأعمدة الكهرباء لينغمر الحي في نهار دموي،.....
ومن منزل متصدع يغتسل برذاذ السيل الدامي نقل الطفل العاري
خطواته اليافعة ثم جلس على مؤخرته يتملى بدهشة المكتشف
الأول إلى هيكل زقاق يولد من كفنه كطائر الفينيق.

الفنار

نهضت من جسدي المتصدع وأستويت واقفاً على قدميك ،
تمثلته بإمعان ولآخر مرة ، وجدت فيه فتحة رصاصية في الجهة
اليسرى السفلى من الصدر ، وقد أغلق عينيه متقيماً الصهد الماطر
من شمس لائبة ، وهناك أجساد متصدعة أخرى تفتش الرمل
الفائر ، بعضها غادرها أصحابها والأخرى لاتزال ترقد في وهدة
الكرى السرمدى الموحد وقد صفدت حناياها الخرساء حابسة
قرائنها المضيئة ، تحق أمامك نحو الأفق البرتقالي ، ثم تنقل خطاك
نحو الفنار.

البكاء

بالتأكيد كان طلبها إنقاذاً لحالة اللاتوازن الذي كنا نمور في أتونه وقتئذ ، فهي الوحيدة القمينة بالتعبير عن أعماق الأحاسيس المتوهجة في حنايانا ، بيد أنها لا تستطيع أن ترقى أسوار الأنا العالية جداً ، هي...فقط بغلالتها المتسريلة إلى ما تحت ركبتها والمعبأ بأوراد دوار الشمس التي تضيء عتمة الغرفة الموصدة الأبواب والنوافذ والحيطان والقلوب والأنفاس ، القامات تغرق في رصاص ثقيل معتم: وجهي ، ووجه الأم ، والجد والجدة ، والتلفاز والنيون السادر في النوم ، فقط... وجهها كان يضيء بؤس وجوهنا ويجعلنا نتحلّق في تقاسيمه الطفولية الرائعة ونحن نهوم حوله كالفرشات الباحثة عن حتوفها أو خلاصها في فيء الوهج البارق... قالت بنبرة طفولية.

- ماما... أني خائفة.

إحتضنتها الأم كما تعانق أجنحة الفراشة حزم الضياء الثاوية وتحترق في حشاياها الدافئة الدافقة.

- تعالي يا حبيبتتي... نامي في حضني.

يهرع الضوء إلى الفراشة ، وتهرع الفراشة إلى الضوء ،
ويتلاحمان ، يقدح بريق يضيء الحجرة ليتوافق مع الومض الذي
يجبب المدينة المطفأة الآيلة إلى الخراب ، ولحظة وامضة تترجم إلتقاء
رقبة الحمامة بنصل السكين ، هذه الهنيهة النادرة المتأرجحة بين
الإنطفاء والإنعثاق ، رنمت الطفلة.

- ماما... أريد أن أبكي ، هل يسمعون بكائي ويقصفون بيتنا؟.
- كلا يا طفلتي.
- سأبكي.

وغسل الفضاء المزمجر نشيج ناعم قصير كنسمة جبلية ثم
تصاعد وصار أنين لبوة ثكلى ومن ثم صاحبه الأنين الكورالي
الصاح من الأب والأم.. الجد والجدة... والحجرة ، البيت ، الزقاق ،
الحي ، المدينة... وصار الوجود كله نشيجا طويلاً ممتداً من الأبد إلى
الأبد.

حوار

١: جمجمة وعظمتان متقاطعتان.

٢: يصبوب الفوهة نحو الهدف.

١: في ذهنه صورة (طفل غض ، عاري الساقين يحتضن صدرأً بضاً خافقاً بوجيب قلب متوثب يستجيب لممصمة الشفاه الندية).

٢: في ذهنه صورة (طلل كان قبل لحظات بيتاً ينبض بقلب امرأة ثمانية هي أمه... يتوسل الحجارة المتصالبة أن تكون رؤومة بالجسد النفيس المطمور في حشاياه).

١: غمامة سوداء تحاول أن تقتلعه إلى علياء الجحيم ، يستجدي قواه الخائرة للنأي عن نيرانها ، يفتح ماقية على سعته ، يتسمع الكركرة... بابا... بابا؟.

٢: يصبوب نحو القلب مباشرة ، تتحرك السبابة لامسة فولاذ الزناد.

١: يسافر عبر رؤاه إلى مربع من الضوء يتابع عدو طفل نحو الأفق.

٢: حملها بين يديه ، وانفجر شلال النهر من قلبه ، ادار الوجه
الثمانيني نحو الشمس.

١: المربع ينأى عن النظر حتى يصير بحجم رأس الدبوس وفي
داخله شمس تركض وطفل صغير يحاول الامساك بها.

٢: يحول الفوهة نحو الرأس ، يفكر... سأهشم الرأس قطعاً قطعاً.

١: فوهة كبيرة طويلة يربض في نهايتها وجه شمعي شاحب.

٢: يضغط على الزناد بسبابة واجفة.

..... وتسدل الستارة

مارس

توقف الليل وتسمر النهار يبصبص بعيونه البارقة مستجلياً معالم الحصن الموصد بالأقفال الكبيرة والمسور بأغصان اللبلاب المتشابك حول جدرانته... أوقفت الريح عويلها المتواصل ، توقفت الغيوم الربابية والرصاصية عن جريها المحموم نحو حتوفها في شعف الجبال القصية الشاهقة ، توقفت العربة التي تقل عناصر الحياة حين خرجت من كوة أعلى الحصن صراخ متأس مبتور متوجع لإمراة تطلق ، إمتدت فترة صمت طويلة جداً تختصر المسافة بين إنطباق هديين ، تتالت بينهما صرخة أخرى معبئة بكل آلام حواء وعذاباتها ثم إنفتح باب الحصن الشاهق وخرجت منه أم عارية وقد إنساح من ساقها خيط من الدم يرسم خلفها على الطريق الترابي المعشوشب خط رحلتها المظنية وخلفها كان مارس يتوثب كالرهبان يحمل بيديه قوساً ونشاباً وعلى كتفه اللدن العاري جراب سهامه.

ورود

دخل ولدي باحة الدار وهو يحمل أصيصاً بها أوراد بنفسجية ذابلة ، حولت نظري وبصيرتي تغادر منظرأ أتمنى أن لا أشاهده مرة أخرى وإلى الأبد... جموع الناس الزاحفة كالبحر ساعة النوء نحو الأبنية ، تحطم البواب وتفتح وتخرج ومعها أسلابها ، تلفازات ، كراسي ، أطقم ، هواتف.. الخ ، ثم تعود وهي ممغنطة بتيار الجنون وهكذا دواليك ،... فوضى تسود المدينة أينما وليت وجهي ، إطلاق رصاص ، صراخ ، وأسراب الحمام المدعورة المخلقة نحو الفضاء ، نظرت نحو الأسفل حيث الطوار وصرخت بولدي الذي لجمته المفاجأة فوقف صاغراً كالتمثال ، نزلت درجات السلم بسرعة وهرعت صوبه ، إنكمش في مكانه ونهياً لصفعة موجعة ، بيد أنني أمسكت نفسي وهتفت به.

- ما هذا..؟.

لم يجب بل صارت نظراته الزائغة تتناوب بين كفي المشهورة ونهايات البنفسج الذابل ، ولأول مرة رأيت إبريق ماء في يده

الأخرى ، توقف تفكيري لوهلة ، وترجم لساني فحواه..

- وما هذا..؟.

خرجت الكلمات من فمه مبعثرة لا يربطها رابط ولكنها
تماسكت في النهاية وسمعتها بوضوح.

- هذه الورود كادت تموت ، والأقدام تدوسها..

ثم بعد برهة..

- إنها ذابطة..

ووجدت نفسي جوار ولدي ويميني تمسك مع يمينه بالإبريق
ومضينا معاً نصب الماء في الأصبعة.

الحسم

في الوقت الذي كان فيه الجيشان يتأهبان لمنازلة حاسمة يفني أحدهما الآخر.

في الوقت الذي كان فيها قائدا الجيشين يحدقان ، في آن معاً ، عبر الناظور ، كل من مرصده المنيع نحو الأرض التي سيحدث فيه النزال. كانت الشمس تحث خطاها نحو أقصى الشرق ترنو بحزن نحو الأرض والأشجار والدبابات والأجساد المحروثة بوعشاء التعب والترقب والخوف.

في تلك اللحظة أبصر القائدان معاً ، القتلى في الأرض الحرام ينهضون من نواصيتهم ومشوا في رتلٍ صغيرٍ نظيم ، وعند ملتقى الطرق إفترقوا إلى فريقين إتجه كل منهما صوب أحد الجيشين وهم يحملون في أكفهم المدماة أغصان زيتون..... فهتف القائدان معاً بوجهين شمعيين وعيون زجاجية وبصوت موثود.

- إستعدوا للحسم.

شمسان

هذا العضل الفاتن ، المعجونة قداسته بالطين والبارود والآهة الموجعة الأخيرة التي أفضت به إلى الذاكرتان: ذاكرة الزمن الأسود الذي ألقته في سعي حرب لا ناقة له فيها ولا جمل ليصبح أضحية فوق مذبح تشويه أسنة من بارود زمهيري ثاو في لظاه الصقيعي ،... وذاكرة الفنان المشوب بالجمال في أقصى وحشته وهو يصلبه فوق (الجنفاص) ويلبسه عرباً باذخاً قدسياً شحن به كل تصوره عن الكمال المطلق فجعله عضلاً في جسده ، بريئاً كطفل يرشق الفضاء المسخّم برماد الحروب بنظرة إدانة تطوق هامته الغضة هالة عبقة بشذا الفراديس..

هذا العضل الذي صلبه الفنان المكتوي بحروب غابرة وأخرى آتية شاء أن يهبه حركة تفصح عن رغبة في التوثب نحو البعد الآخر ، بعد ترتع فيه السكينة وفضاء لا محدود تتصادى في جنباته تراتيل المجنحين الصغار... ضجر من وضعه وهو يحقد بنظرتين: الأولى إلى أعلى حيث تلطيفات لونية صارخة ، حمراء صفراء برتقالية تفضي إلى بياض فريد ، والأخرى نحو الأسفل حيث قرية مجبّية بالمطر والضباب والنسيان والحراب تحترمها في القلب والكبد

والخاصرة فبدت والظلام يتخاطفها مثل طيرٍ أطبقت عليه سنان
الفخ الثاوية فأغمضت عينيها تتسمع الأنفاس المحتبسة في صدور
النساء والشيوخ والأطفال اللاهجة بأسماء من غابوا في طوى
الهضاب وغياهب الزمان ، ومن ثم أطبق عليهم قانون الترقب ،
وإنتظار من لا أوبة ترجى منه.

هذا العضل كالرهوان ، الرشيقي كالأيل... شق (الجنفاص) وتحرر
من عبودية الألوان ولامست قدماء البضتان العاريتان بلاط القاعة
المحززة بالشواهد المرمية وإنبعاجات القبور ، فك الأسار الحديدية عن
رقبة وقوادم الحصان الذي رافقه من رحلته الممضة للتحرر ، زنخر
وملاء الفضاء ببخار متواصل وتمطى سادلاً شعر رقبته ثم أنهض
قائمته الأماميتين وزگرد سهيلاً طويلاً ، والعضل يراقبه بود ومن
ثم يمتطيه ويطيّران ويتجليان معاً في سماء سندسية ثم يهبطان
تبعهما سرية من فرسان يماثلون العضل في فتوته ورشاقته يمتطون
صهوات جياذ إستيقظت لتوها من نومة طويلة فبدت في إتساقها
الهندسي البديع خطوطاً صارمة تجلد الأرض وأسهماً متجهة نحو
الطريق المفضي الى القرية.

يتقدم العضل الرشيقي الموكب ووجهته قرية التي تنتظر منقذها
الموعود بالعودة مطوقاً بأقرانه الذين عصفت بهم حروب سابقة
وفتكت بها الحراب ، تشرق عليهم شمس أولى تنير اللوحة والقاعة
والشواهد وثانية فوق البيوت التي قضقت عتمة الأبدية ،
فتمتعت القرية بميزة لم تشملها أية بقعة في الكون... فقد أشرقت في
سماءها شمسان.

العرس

الأم :

كانت أثيرة إلى نفسه ، أقرب من الأبهر إلى بطين قلبه ، مسح
كعاشق متدله وجهها الراق الشفيف برقة ، يداعبها بخنان ، وعندما
كان يلاحظ آثار بسمة حبية على شفتي كان يقول.
- لو تعرفين يا أم... ما أرقه وأمضه هذا الذي تتحسبه هذه
الساعة الرقيقة.

ثم يوقتها ويضعها فوق الثلاجة ويدلف إلى غرفة نومه.
وفي الصباح تناغيه بهمسها الذي لا يستكين ، ينسل من
الغرفة ، يشيلها وينظر إلى عقاربها بعينين نصف مغمضتين ثم
يداعب نابضها فيكف نجواها ، وعندما كنت أسأله.
- لماذا لا تضعها على المنضدة جنب سيرك؟

يهمس بنبرة غامضة.

- بهذا الفعل نتعاقد كلينا لنصرع الزمن.

وكان جوابه أصعب على بصيرتي من فك طلاسمة ، ثم غاب
ولم يعد ، وبقيت الساعة في مكانها المعتاد فوق الثلاجة تتسريل
بالصمت الطويل والحزن العميق والغبار الناعم.
ويعد سنين....

سنون أطبقت على بدنها فتصالبت العقارب وتكفنت بالنسيان ،
تنفس البيت فرحة خجولة حين تزوجت أخته الكبرى ، وحدث ما
لا يمكن أن يصدق ، صدقوني أن ما رأيته ما كان تصوراً أو
هلوسة ، وإن إحساسي كألم لا يخطيء ، ففي الليلة السابقة للزواج
سمعته يفتح باب الصالون كما كان يفعل سابقاً ويدلف الممر وهو
يضع المفاتيح في جيبه ، وتفاجأ إذ وجدني مستيقظة وإستلم
إحساسي الصادق بوجوده العجائبي ، إبتسم ثم تخاطفت قدماه إلى
الثلاجة ، إلتقطها وضمها إلى حناياه ، سمعت نحيباً مشتركاً ، رفعها
إزاء وجهه ومسح الشيخوخة من وجهها ، وقّتها ووضعها فوق
الثلاجة ثم دخل الغرفة المقفلة منذ غيابه ، ما رأيت طريقة دخوله
ولكنني موقنه إنه فعل ذلك ودليلي غرفته التي أضيئت.

الأخت:

أمي هذا اليوم غير أمي الذي ألفتها منذ خروجه الأخير ،
فالغضون المزروعة في الجبين والرقبة والعينين شبه المطفئتين... أشرقت
وتشرت بدم الشباب ، وكيانها منشد نحو الغرفة المقفلة وكأنها تنتظر
شيئاً مستحيلاً ، وكأن المستحيل أبى أن يخذلها ، رنمت الساعة
ترنيمتها المفتقدة منذ عقد من السنين ، همست بحزن شملني
كزخة مطر موجعة.

- ماما...؟؟!!

إنشدت نحوي وكلمتني بنبرة ساحرة.

- سيخرج من الغرفة.

سألت بعتب.

- لم نصبت الساعة ؟ .

- سيستيقظ الآن...

وأمسكت معصمي بجنان.

- جاء ليحضر عرسك.

- أتقصدين...؟! .

النبرات التي وصلتني لم تكن لأمي بل لكائن آخر.
- (لست محمومة ، صدقيني ، ولا أهذي... إنه يفتح الباب ويتجه صوبها ، يمسح عن بدنها بقايا شيخوختها ، يحتضنها كعاشق ويصمتان...).

وينقطع شجو الساعة بغتة ، تنشد الأم بكليتها نحو الشلاجة وتتابع البوح.

- (إنه يتقدم نحونا ، ألا تهجسيه ، إنه يبتسم ، يقف قبالتك تماما يمسك زنديك ، ربي ما أجمله وهو يطبع على جبينك قبلة).

وأنتفض جسدها كالدجاجة الذبيحة وهي تحتضن الهواء وتصرخ.

- (لا... لا ياعزيزي ، لا تذهب ، لاتركني ثانية ، بني.....).

وتهاكت الأم على صدري في غيبوبة ، صرخت.

- ماء ، ماء .

وأنا ، العروس... أحتضن أمني وأثر القبلة الحارة على جبیني جعلني أجزم بإنه كان فعلاً هنا.

ساعة تنبيه

حين دوت أصوات الانفجارات في الخارج تلملم الرجل الراقد في الموضع ، أنهض الجزء العلوي من جسده المتصالب بصعوبة ثم مد ذراعه اليمنى نحو رف خشبي والتقط قنينة الإرضاع المليئة بالحليب الدافئ ، ومد ذراعه الأخرى وأمسك الجسد اللدن اللابيد جنب قائمة السرير ووضعه فوق البطانية ، خض الزجاجة جيداً ثم أدخل ثديها المطاطي في الفم الصغير.

وحين خيم السكون على الفضاء وصار الصمت المريب لغة الكون سحب الرجل قنينة الإرضاع الفارغة من الفم الوردي ، وضعها في مكانها تحت السرير ثم عقد ذراعيه تحت رأسه وأسبل جفنيه....

كتبوا عن تجربة هيثم بهنام بردى في كتابة القصة القصيرة جداً.

* والقاص (هيثم بهنام بردى) في معظم مجاميعه القصصية المكرسة لهذا الفن أو في مجموعته (التماهي) ، واحد من منتجي هذا النوع ، وقد حقق فيه عطاء متميزاً ، يتيح المجال للظهور باستنتاجات تجسد خاصية ما يكتب بسبب الغزارة في الكم والنوع. فبعض هذه الخصائص يتفق بها مع الآخرين ، لأنها من أساسيات القصة ويحتفظ أحياناً بتفرده فيها. وكل هذا يصب في الجهد الذي يبذله القاص العراقي لتطوير هذا الفن.

القاص والناقد جاسم عاصي

- إن القصة القصيرة جداً التي كرسها القاص هيثم بردى قد تميزت بالتركيز الشديد مما جعل منها قريبة إلى النص الشعري وحياسة الفضاء الدلالي الذي تميز به الشعر الجديد...

الناقد والباحث ناجح المعموري

• القصة العراقية القصيرة جداً تشهد مساحتها اليوم اهتماماً واضحاً ونتاجاً مبدعاً في كتابات الأدباء الشباب ومتابعتهم المؤثرة وابداعهم بهذا اللون من الفن القصصي ، ومن هؤلاء القاص هيثم بهنام بردى الذي أصدر مجموعتين قصصيتين عنيتا بالقصة القصيرة جداً ، المجموعة الأولى (حب مع وقف التنفيذ ، ١٩٨٩) والمجموعة الثانية (الليلة الثانية بعد الألف ، ١٩٩٦). في إصداره القصصي الجديد (عزلة أنكيدو ، ٢٠٠٠) يتابع هيثم هذا التوجه في كتابة القصة القصيرة جداً من موقع مبدع أسس له بجدارة في مجموعتيه السابقتين منطلقاً من خبرة وتجربة في هذا الميدان.

الناقد سليمان البكري

* ان تجريب القاص هيثم بهنام بردى لهذا اللون القصصي جاء بعد ان توطن أسلوبه الفني في السرد والحوار والوصف وبعد ان صار له شكل تأملي ميتافيزيقي ساحر لكنه واقعي أيضاً.

د. نادية هناوي سعدون

• وأشهد أن القاص هيثم بهنام في كل قصصه المنشورة المتلثة في الصحف والمجلات ، وفي كتبه الثلاثة ، قد أثبت لنا بجدارة وإخلاص مدى حبه لهذا الفن الأبداعي ، وإنه استطاع أن يحقق لأدبه ولفن القصة القصيرة جداً الشيء

الكثير ومما سيجعل منه مع القلة القليلة - ولا أقول النادرة -
نجمة متألقة من نجوم هذا الفن الجميل.

القاص والناقد أنور عبدالعزیز

• وما زلنا حتى اليوم نقرأ لهذا القاص الدؤوب ما يشف عن مشروع إبداعي طموح قد يكون بداية له ولكن لا نهاية منظورة له يمكن رؤيتها عن قرب أو عن بعد وهو بهذا يقوي الظن بإمكانية ولوجه الصف الاول من المبدعين لهذا الفن عراقياً وعربياً.

الناقد ناظم السعود

• لن تستطيع خلق مثل هذه اللوحات الحية.. إلا أصابع فنان واع ومقتدر.. وقد نجح القاص الفنان هيثم في منحنا كل هذه اللوحات الإنسانية الصادقة.. ولذلك أحببنا قصصه.

القاص والناقد يوسف الحيدري

• وهيثم بهنام بردى لم يكن طارئاً على القصة القصيرة جداً ، بل انه من أوائل الشباب الذين اهتموا بها ، حيث كان من المشاركين في ملف (الطليعة الأدبية) بثلاث قصص ، لذلك فان صدور مجموعته بعد سبع سنوات من صدور عدد (الطليعة الأدبية) أنف الذكر. يعني ان القاص كان جاداً ومثابراً في بناء نص قصصي يمتلك شروطه الفنية ويبنى حدوده النقدية وسط محاولات تسعى

ل سحب الاعتراف بلون قصصي من هذا النوع ، لذلك فانه عندما كتب نصه لا بد أن أفاد من هذا المجال وكوّن رؤية نقدية تعينه على بناء نصّه الذي يحاول أن يفند الدعوات التي تعتبر القصة القصيرة جداً محطة استراحة او ترف كتابي لا يمكن للأديب ان يعول عليه في تخليد اسمه او تشييد بنائه الفكري.

القاص عبدالستار البيضاني

• في قصص هيثم هناك مهيمنات طاغية تشغل مساحة كبيرة من اهتماماته وتشكل منافذ دلالية على عوالمه الأثيرة.. فالصورة والتشكيل والحلم والمهد والموت والغياب وعلاقة الرجل والمرأة والخواء العاطفي واستنطاق الموجودات الجامدة.. كل تلك المفاهيم والمداليل الفكرية تتسامى في علاقاتها ضمن قصصه القصيرة وتتواصل في تناغم هارموني مع لغة شعرية عالية تأسر القارئ بقدرة الإدهاش المنطوية عليها..

القاص جمال نوري

• وهيثم بهنام بردى أحد أبناء هذا الجيل الذي ثابر كثيراً مخترقاً جدار القص العراقي من خلال حبه كتابة القصة القصيرة جداً ، وإلى امتزاج روحه بروح هذا اللون القصصي.. فهو من الذين ركزوا على هذا اللون الصعب والمهم . في آن واحد . والجديد على القصة العراقية المعاصرة.. فمنذ البدء رسم خطه البياني من اجل

أن يرتفع بهدوء إلى أعلى ومن أجل أن تكون قصصه قصيرة جداً ذات مستوى رفيع وأن تكون عموداً بارزاً من بين الأعمدة التي حملت قصر القصة العراقية المعاصرة.

القاص والناقد حمدي مخلف الحديثي

• هذا القول -الإنسان والإمتاع- كثيراً ما يجده القارئ متطابقاً مع الكثير من النصوص الإبداعية التي تنتمي إلى حقلي الحياة والموت ، الطفولة والكهولة ، والتي تنتسب إلى -هيشم بهنام بردى- كمنجز إبداعي لصناعة سردية متميزة وقادرة على أن تمنح القارئ عوامل الاستزادة من متع الحياة والمستقبل والحلم ، والفنطازيا وعوالم تنتمي إلى اللاواقع أكثر من انتمائها إلى الواقع المعيش.

الشاعر والناقد حميد حسن جعفر

• أنا على يقين بأن فن هذا المبدع سيكون بؤرة مشعة في عالم القصة القصيرة جداً لما يملك من خصائص ، أولها الصدق ، واصطياد الرؤية الخاطفة ، والتمكن من اللغة وشاعريتها ، والخلفية ، والخزين المعلوماتي والأدبي والشعبي والميثولوجي ، وأخيراً إخلاص الفنان لفنه.

الأديب خالص ايشوع بربر

• إن القاص هيثم بهنام بردى قد عمد على إشاعة أكبر قدر من المضامين الحياتية التي ألحقها بأبطال قصصه في أشكال فنية تكاد تتقارب في لغتها وهيأتها وحركتها وعناصرها اللسانية ، وقد تظهر هذا التقارب في نمطية المصائر والحالات النفسية لشخصه وان هذه الصور المتجاوزة تحققت في نهايات قصصه بشكل واضح وكبير.

الشاعر والناقد شاعر مجيد سيفو

* إذن العزلة والرحيل والموت ثلاث موجّهات تحرك شخص من (بردى) من خلال جملة من الأدوات والموجّهات التي تشتغل على بلورة حالة الشخص الداخلي بكثافة واختزال يتسمان بالدقة والوضوح. وإن كل موجّهة من الموجّهات الثلاث يعمل بطريقة مغايرة ظاهرياً ومتلائمة باطنياً ، بل إن كل واحد يؤدي إلى الآخر بطريقة ما. وإن الكل يؤدي إلى الموت الذي هو محصلة نهائية لحاصل تأزم الشخص وانفلاتهم من مأساوية حياتهم اليومية وتخبّطهم في الرتابة والعشوائية

الناقد صباح الأنباري

* فالعلاقات الأساسية التي اعتمدها القاص في جميع قصصه ، تظهرت من خلال الارتباط الوثيق بالواقع وكيفية صياغته رمزياً ، فالوحدة السردية كانت شاملة ومصهرة لجميع الأشياء في النص الواحد أو في بقية النصوص ، لنلمس الضربة الأخيرة وهي تحمل

شمولية مشبعة بشاعرية السرد ، والشاعرية هنا ، هي لم كل محاور
الاشتغال السردي. حتى أن التعامل مع الواقع بوعي الكتابة الحديثة
اقتضى العودة إلى الماضي السردي من الناحية الأدبية.

الناقد زهير الجبوري

• من مميزات قصص القاص هيثم دعمه اللامحدود من
ناحية سرعة الحركة والاقتصاد بالحدث والاهتمام بعناصر المفاجأة
والاقتصاد واقتناص اللحظات السريعة منذ البداية وإيجاد الحلول
السريعة في اقتناص النهايات المفاجئة

الشاعر وعبدالله إيليا

• فالقصة تعتمد الحدث المركزي واللحظة السردية المتماسكة
والثرية بنائها ودلالاتها وشخصها وإيقاعها الحاد للرؤيا.. إضافة الى
اعتماد لغة قادرة على التعبير والإيجاز.. يوظفها القاص وهو يحاول
التقاط اللحظات وتصويرها ببناء متماسك يعتمد اتقان التناسب في
اختيار الالفاظ مع فعل درامي واعتماد عنصر المفاجأة والدهشة في
النهاية السردية.. فهو يستخدم أسلوب تفجير اللغة مع ابتعاد عن
الاستعارات النمطية باختزال الزمن وتكثيف الاحداث مع تكتيك
حدائوي معمق الدلالة..

القاص والناقد علوان السلطان

* في مجموعته الجديدة ، يحاول القاص هيثم بهنام بردى إثارة اضطراب قرائي لدى المتلقي ، حين يعرض أمامه أكثر من ثلاثين نصاً قصيراً جداً تنتمي إلى فن اللغة المختزلة والأفكار التي تعجل من الإدراك بضرورة الاعتراف بهذا الفن الصعب جداً ، والذي يخطئ من يعتقد انه سهل الكتابة.

الناقد علي محمد الحلي

* لقد نجح القاص هيثم بهنام بردى في مجموعته (عزلة انكيدو) في اختيار نموذج أرقه زمنياً طويلاً حتى تمكن من تطويعه والقبض بأصابعه على أسراره بلغته السلسلة المركزة مشكلاً من خلال قصص المجموعة وحدة متكاملة تستفزنا وتنبض مع نبضنا فتتعلق بها مبشرين في أفكارها وشخصياتها وأحلامها وعزلتها المنفتحة على العالم.

القاص سمير اسماعيل

* ومن أهم رواد القصة القصيرة جداً: نستحضر من فلسطين الشاعر والقصاص فاروق مواسي... ومن سوريا المبدع زكريا تامر ، ومحمد الحاج صالح ، وعزت السيد أحمد ، وعدنان محمد ، ونور الدين الهاشمي ، وجمانة طه ، وانتصار بعلة ، ومحمد منصور ، وإبراهيم خريط ، وفوزية جمعة المرعي....
ومن العراق شكري الطيار ، وإبراهيم سبتي ، وبثينة الناصري ،

وخالـد حبيب الراوي ، وهيثم بهنام بردي الذي كتب عدة مجموعات قصصية ضمن هذا الفن الجديد كمجموعته (حب مع وقف التنفيذ) سنة ١٩٨٩م ، و" (ليلـة الثانية بعد الألف) سنة ١٩٩٦م ، و(عزلة أنكيدو) سنة ٢٠٠٠م....

ومن المغرب نذكر حسن برطال في مجموعة من أقاصيصه المتميزة بالروعة الفنية وهي منشورة في عدة مواقع رقمية وخاصة موقع دروب ، وسعيد منتسب في مجموعته القصصية (جزيرة زرقاء ٢٠٠٣م) ، وعبد الله المتقي في مجموعته القصصية (الكرسي الأزرق ٢٠٠٥م) ، وفاطمة بوزيان في كثير من ليالها وكتاباتها الرقمية المتنوعة ، ومحمد فاهي.... ومن تونس لابد من ذكر الكاتب الروائي والقصاص المقتدر إبراهيم درغوثي الذي كتب مجموعة من النصوص القصيرة جدا في عدة مواقع رقمية كقصصه (حب مجانيـن) في موقع أدب فن....

ومن الجزائر نذكر عبد القادر برغوث الذي كتب مجموعة من النصوص القصصية القصيرة جدا في عدة مواقع رقمية ولاسيما في موقع إيلاف (٢٠٠٦م/١٢/٢٦). ومن السعودية لابد من استحضار فهد المصبح في مجموعته القصصية (الزجاج وحروف النافذة).

د. جميل حمداوي = المغرب

الكاتب في السطور

هيثم بهنام بردى

قاص وروائي وكاتب أدب طفل

- ♦ ولد في العراق / عام ١٩٥٣.
- ♦ عضو اتحاد الأدباء العراقيين.
- ♦ عضو اتحاد الكتاب العرب.
- ♦ عضو نقابة الفنانين العراقيين.
- ♦ عضو فخري مدى الحياة في دار نعمان للثقافة اللبنانية.
- ♦ عضو المجلس المركزي للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- ♦ عضو المكتب التنفيذي للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- ♦ نائب الأمين العام للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عن الثقافة السريانية.
- ♦ عضو هيئة تحرير مجلة بانيبال.
- ♦ عضو هيئة تحرير مجلة العائلة.
- ♦ عضو هيئة تحرير مجلة شراع السريان.

- ♦ حضر وشارك في مهرجانات وملتقيات عديدة أبرزها:
 ١. الندوة العربية الأولى للقصة الشابة التي أقامتها مجلة الطليعة الأدبية في بغداد عام ١٩٨٠.
 ٢. ملتقى القصة العراقية في بغداد عام ١٩٩٥.
 ٣. ندوة الرواية العربية في بغداد عام ٢٠٠٢.
 ٤. الملتقى الثالث للقصة القصيرة جداً في حلب عام ٢٠٠٥.
 ٥. الملتقى الرابع للقصة العراقية (ملتقى د.علي جواد الطاهر) في بغداد ٢٠٠٨.
 ٦. مهرجان المرید ولعدة دورات.
 ٧. مهرجان الجواهري عام ٢٠١٠.
 ٨. مؤتمر ثقافة الأطفال الدولي الأول في بغداد عام ٢٠١٠.

التكريم:

١. منح شهادة تقديرية لمشاركته في الملتقى الثالث للقصة القصيرة جداً في حلب عام ٢٠٠٥.
٢. منح شهادة تقديرية من دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦.
٣. منح شهادة تقديرية من دار نعمان للثقافة عام ٢٠٠٦ بمناسبة فوزه بجائزة ناجي نعمان اللبنانية العامية عام ٢٠٠٦.
٤. منح شهادة تقديرية من مؤتمر الأدب السرياني الثالث المنعقد في أربيل عام ٢٠٠٦.
٥. منح شهادة تقديرية من الملتقى الرابع للقصة القصيرة

- (ملتقى د. علي جواد الطاهر) عام ٢٠٠٨.
٦. منح شهادة تقديرية من مؤتمر الأدب السرياني الخامس المنعقد في السليمانية عام ٢٠٠٨.
 ٧. منح شهادة تقديرية من دار عراقيون للصحافة والنشر في الموصل عام ٢٠١٠.
 ٨. منح شهادة تقديرية ودرع الإبداع من مركز دراسات الموصل في جامعة الموصل عام ٢٠١٠.
 ٩. منح شهادة تقديرية من مؤتمر ثقافة الأطفال الدولي الأول الذي عقدته دار ثقافة الأطفال في بغداد عام ٢٠١٠.
 ١٠. منح شهادة تقديرية من إذاعة صوت السلام من بغداد (قره قوش) عام ٢٠١٠.
 ١١. منح شهادة تقديرية من وزارة الثقافة - دار ثقافة الأطفال عام ٢٠١٠ في العيد الحادي والأربعين لتأسيس الدار اثر فوزه بالجائزة الثانية لمسابقة الدار عن النص المسرحي.

أصدر الكتب التالية:

١. الغرفة ٢١٣ / رواية - مطبعة اسعد - بغداد ١٩٨٧.
٢. حب مع وقف التنفيذ / قصص قصيرة جداً - مطبعة شفيق - بغداد ١٩٨٩.
٣. الليلة الثانية بعد الألف / قصص قصيرة جداً - منشورات مجلة نون - الموصل ١٩٩٥.

٤. عزلة انكيدو/ قصص قصيرة جداً - مطبعة نينوى- بغداد ٢٠٠٠.
٥. الوصية/ قصص قصيرة- دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة- بغداد ٢٠٠٢.
٦. الحكيمه والصيد/ مسرحية للفتيان- مطبعة بيريفان- أربيل ٢٠٠٧.
٧. الذي رأى الأعماق كلها/ كتاب انثيالات- مطبعة ميديا- أربيل ٢٠٠٧.
٨. مار بهنام وأخته سارة/ رواية- مركز أكد للطباعة والإعلان- عنكاوا- أربيل ٢٠٠٧.
٩. قديسو حدياب/ رواية- مركز أكد للطباعة والإعلان- عنكاوا- أربيل ٢٠٠٨.
١٠. تليباثي/ قصص قصيرة- دار نعمان للثقافة- بيروت ٢٠٠٨.
١١. صدرت طبعتها الثانية عن دار الينابيع بدمشق عام ٢٠١٠.
١١. التماهي/ قصص قصيرة جداً- دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة- بغداد ٢٠٠٨.
١٢. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية/ إعداد وتقديم- المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية- أربيل ٢٠٠٩.
١٣. القصة القصيرة جداً في العراق/ إعداد وتقديم- المديرية العامة لتربية نينوى- الموصل ٢٠١٠.

١٤. مع الجاحظ على بساط الريح / سيرة قصصية للفتيان-

دار رند للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ٢٠١٠.

♦ كتب عن تجربته في الكتابة كل من: د. عمر الطالب، د. محمد صابر عبيد، د. فاضل التميمي، د.نادية هناوي سعدون، د. ثائر العذاري، موسى كريدي، إبراهيم سعدالدين، أمجد توفيق، يوسف الحيدري، جاسم عاصي، سليمان البكري، ناجح المعموري، عبد الستار البيضاني، صباح الأنباري، زهير الجبوري، أنور عبد العزيز، محمد الأحمد، ازدهار سلمان، جاسم خلف الياس، بولص آدم، عباس خلف، علي محمد الحلبي، شاكر سيفو، إسماعيل عيسى، جمال نوري، حميد حسن جعفر، حمدي الحديثي، ناظم السعود، علوان السلطان، سمير إسماعيل، مثنى كاظم صادق، وعدالله ايليا، شاكر محمود الجميلي، نزار الديراني، جبو بهنام، وغيرهم.

♦ أفرد السيد إسماعيل فتحي حسين مفصلاً من مفاصل رسالته لنيل شهادة الماجستير من جامعة الموصل عام ١٩٩٧ باللغة الإنكليزية برسالته الموسومة:

”For grounding in Arabic Written Discourse With Special Reference To English”

وترجم له فيها قصة (العيون) من مجموعته القصصية (حب مع وقف التنفيذ) مع دراسة عن اللغة في هذه القصة.

- ♦ ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإنكليزية والهولندية والفرنسية.
- ♦ ورد اسمه في كتاب (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين - الجزء الثالث - صفحة ٢٨١) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ١٩٩٨ لمؤلفه الأستاذ حميد المطيعي.
- ♦ ورد اسمه في كتاب (موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين - صفحة ٦٠٠) الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة الموصل - مركز دراسات الموصل - عام ٢٠٠٧، لمؤلفة الأستاذة الدكتورة عمر الطالب.
- ♦ أصدر الأديب خاص ايشوع بربر كتابا عنوانه (حبة الخردل) وهو دراسات نقدية لنقاد وقصاصين وشعراء تناولوا تجربته في كتابة القصة القصيرة جداً مع مقدمة ضافية بقلمه. وأعاد طبعة ثانية وصدر عن دار رند للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا عام ٢٠١٠.
- ♦ أفرد الباحث جاسم خلف الياس فصلاً من رسالته (شعرية القصة القصيرة جداً) عن تجربته في كتابة القصة القصيرة جداً والتي نال فيها شهادة الماجستير من كلية التربية - جامعة الموصل، عام ٢٠٠٧.
- ♦ تناول الباحث فرج ياسين أحمد بالتحليل قصته (الأقاصي) في أطروحته "أنماط الشخصية المؤسطرة في القصة العراقية -

دراسة تحليلية " والتي نال بها شهادة الدكتوراه من كلية التربية - جامعة تكريت عام ٢٠٠٦ م.

♦ الجوائز:

- حائز على جائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية لعام ٢٠٠٦.
- حائز على الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقامتها دار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦ عن قصته القصيرة "النبض الأبدى".
- حائز على الجائزة الثانية في مسابقة وزارة الثقافة لمسابقة أدب الأطفال / دار ثقافة الأطفال / جائزة (عزي الوهاب للنص المسرحي) عام ٢٠١٠ عن مسرحيته الموسومة (العشبة).

الفهرس

المجموعة القصصية الأولى: حب مع وقف التنفيذ.

المقدمة: عبدالستار البيضاني.

رأى الكاتب.

علاقة.

الثلج.

صدى.

ذكريات.

الشقوق.

العاصفة.

رجل وحيد.

النافذة.

الهاجس.

اللعبة.

ولادة.

الأرجوحة.

نمر إفريقيا.

مطر.

ألفة.
اليد.
الرقصة.
شعاعان.
طرزان.
حب مع وقف التنفيذ.
الساحر.
شمس.
نشرة أخبار.
سيناريو.
لقاء.
العيون.
الرجل.
حب.

المجموعة القصصية الثانية: الليلة الثانية بعد الألف.
القصة القصيرة جداً: رؤوس أقلام.
كيف دخل بردى مدينة السحر.
كيف كتب بردى قصته الأولى.
الأعجوبة.
عشبة كلكامش.
نظرة قصيرة فقط.
وليمة.

تعاضد.
يوتوبيا.
السؤال.
ولادة.
متوالية.
محطات.
الفخ.
ماراثون.
المطهر.
المشروع.
القرد.
كتاب.
الليلة الثانية بعد الألف.
دعموصة.
المخاض.
الفراش الأبدي.
الصمت الفارغ.
حين.
توحد.

المجموعة القصصية الثالثة: عزلة أنكيديو.
قصة قصيرة جداً أم أقصوصة أم قصة قصيرة قصيرة؟
الحلم.

الأخر.
الكتب.
اللعبة.
مشاريع مؤجلة.
حنين.
البحر.
المعادلة.
الهالة.
تسامي.
صداقة.
سماء أخرى.
حب خرايفي.
الأنين.
إختطاف.
سمفونية.
متحف.
السفر.
الحنايا.
صفاء.
القاص.
الشاعر.
تجالد.
الحرقدة.

الإنفلات.
عزلة أنكيديو.
المعجزة.
مربع ضوء.
النجوم.
الصديق السرمدى.
الإحتفال.
الزوبعة.
العشاء.
تداعيات.
انثيالات.
استراحة التمثال.
أمنية.
وجبة فطور.
صرة.
الطائر.
الغناء.
تكوين.
معقول.
الرحلة.
القصيدة.
المهد.
برومثيوس.

خرم.

صديق العصافير.

الباب.

تقويم.

المجموعة القصصية الرابعة: التماهي.

القصة القصيرة جداً.. فن الإختزال والتكثيف: جاسم عاصي.

مقدمة المؤلف:

أولاً: القصة القصيرة جداً. فن صعب جداً.

ثانياً: القصة القصيرة جداً بنيان ليس مشيداً على الرمال.

ثالثاً: القصة القصيرة جداً.. إبحث عنها في العراق.

القسم الأول: الحياة.

التماهي.

نيرفانا.

العناصر.

إبتسامة.

الذبيحة.

الإنعتاق.

الأصدقاء.

الحياة.

الصهيل.

الصخرة.

العشان.

المنقذ.
عالم وردي.
ما كان حليماً.
وردة حمراء.
التصفيق.
الطيف.
القسم الثاني: مارس.
أخيل.
البيت.
تقوض.
قبايل وهابيل.
فزاعة.
ديوارانت.
الفينيق.
الفتار.
البكاء.
حوار.
مارس.
ورود.
الحسم.
شمسان.
العريس.
ساعة تنبيه.